



عَلَى ظِلَالِ الْوَقْتِ

كَاتِبُ الظِّلِّ

مقدمة :

على حافة البياتو، حيث يستقرّ الليل متأملاً، وحيث الموج يكتب وصاياه الأخيرة فوق الرمل، وُلد هذا الكتاب.

لم يكتب بالحبر، بل كُتب بما تبقى من قلب أثقله الوجد، وبأنفاسٍ تعثّرت بين البكاء والصمت.

ليس رواية، ولا سيرة، ولا دفتر خواطر... بل هو مساحةٌ حرّة "على ظلال الوتر" بين الحنين والفقد، بين الذكرى والنسيان، بين الألم الذي يُوجع، والأمل الذي يُداوي.

وما بين تلك المساحات... تسَلّلت بعض الأبيات، قصائد قليلة، لكنها تنبض بما تعجز عنه اللغة أحياناً، وتغني حين يسكت النثر.

في هذا الكتاب، ستقرأ الفقد بكل أشكاله...
فقد من رحل تحت التراب، وفقد من بقي فوقه لكنه لم يعد كما كان.
ستسمع صدى الحنين يتسلل من بين الكلمات، وتشم رائحة الذكريات، تلك التي تأتينا دون إذن، فتحملنا إلى لحظاتٍ تمنينا لو توقّف عندها الزمن.

هنا، كل سطرٍ يحوي شعوراً مرّ بك — وربما لم تستطع البوح به.
هنا العتمة التي عرفتتها، والنور الذي بحثت عنه.
هنا اليد التي ترتجف، ثم تقوى. القلب الذي ينكسر، ثم ينبض من جديد.

ومع كل ذلك... لا يخلو هذا الظلّ من وهجٍ ما.
من بقعةٍ دافئةٍ صغيرة... وسط برد العالم.
من فسحة أملٍ عنيدة، تنمو بين الصخور.
من جمالٍ نقي، يشبه ضحكة خجولة في حضرة الهمّ، أو نور القمر حين ينعكس على سطح البحر ويُخفي في داخله ألف حكاية.

"على ظلال الوتر" كل شيء يتحدث!
حتى في صمت الكلمات، يبوح القلب بما لا يمكن أن يقال...

رماد الذكرى تحت ظلال الخذلان...

كتبها قلب يملؤه الألم ، وأحرفه تدمع على صفحات الذكريات.

هل حقًا ننسى من نحب؟ أم أن الذكريات تظل تطاردنا مهما حاولنا الهروب منها؟
ماذا يحدث للقلب حين يموت ثم يعود للحياة من جديد؟ هل يمكنه أن ينسى الألم
الذي مر به؟
كيف يمكن لشيء كان يعني لي العالم أن يتحول إلى مجرد ذكرى؟ هل يمكن أن أجد
أملًا في الفراغ الذي خلفه؟

أعرف ذلك الشعور جيدًا...
حين تلتقي العيون، فأشعر وكأنني فقدت كل شيء قبل أن يبدأ.
لا أدري كيف يحدث ذلك، كيف يتحول شخص كان يومًا قريبًا مني إلى غريب؟ كيف
يصبح وجوده أمامي وكأنه لا يعنيني، رغم أن كل شيء في داخلي ينهار كلما رأيته؟

لم أكن أعلم أن الألم قد يكون بهذا العمق، أن القلب قد يموت ثم يعود للحياة، فقط
ليموت مرة أخرى.
كل مرة أراك فيها، كلما تلاقت أعيننا، أشعر بأن نارًا تشتعل بيننا. نارٌ لا تحرق فقط،
بل تترك رمادًا يتقل صدري ويمنعني من التنفس. أراك من بعيد، تبتسم لغيري،
تضحك معهم وكأنني لم أكن يومًا جزءًا من حياتك. وكل مرة، أشعر أنني أغرق في
دوامة من المشاعر المتناقضة. قلبي ينزف، ثم ينبض، ثم يموت.

هل تذكرني؟ هل تذكر الأيام التي جمعتنا؟ أم أنني أصبحت الآن صفحة مطوية لا
تعني لك شيئًا؟

أنا ما زلت أذكر كل شيء... كل التفاصيل، حتى تلك الصغيرة التي قد تبدو غير
مهمة.

أتذكر كيف كنا ننقل المحل عند أذان العشاء، كيف كنا نمشي نحو المسجد، وكيف
كنت أنظر إلى والدك وهو يؤم الصلاة، بصوته العذب الذي يملأ المكان بالسكينة.

على ظلال الوتر

لكن اليوم... كل شيء تغير.

المحل أصبح خاليًا، والمسجد يذكرني بصوت غائب لا يمكنني استعادته. حتى الطريق الذي كنا نسير فيه، أصبح الآن شاهدًا على المسافات التي نمت بينها.

أتذكر تلك الليلة حين اقتحم جنود الاحتلال منطقتنا، وكيف كنت أركض حاملًا روعي على كتفي، أصوات القنابل تملأ المكان، والأرض تهتز تحت قدمي. لم أفكر إلا بشيء واحد: أن أصل إلى البيت، أن أكون بأمان. وعندما وصلت، كنت أنت أول من سأل عني. رسائلك تلك الليلة كانت ضوءًا وسط عتمة الخوف، كنت أشعر أن قلبك معي، رغم المسافات، رغم الخطر.

لكن الآن؟ الآن أنت غريب.

تمر بجانبني، تلتقي نظراتنا لثانية، ثم تمضي وكأن شيئًا لم يكن. لا كلمات بينها، لا سلام، فقط نظرات مشتعلة بالنار، تحمل ذكريات تحرقني من الداخل.

كل مرة أراك، أشعر وكأن سكينًا يغرس في صدري من جديد.

أتساءل كثيرًا: كيف استطعت أن تمضي؟

كيف استطعت أن تضحك مع غيري كما كنت تضحك معي؟
كيف جعلتني مجرد صفحة في كتابك طويت بسهولة؟

أما أنا، فلا زلت هنا، عالقًا في نفس المكان، في نفس الذكريات. في تلك الليلة، عدت إلى غرفتي، جلست أمام الأوراق البيضاء، أحاول أن أكتب، لكن القلم كان يخذلني. كل كلمة كانت تخونني، كل حرف كان يهرب مني. كنت أرى وجهك في كل زاوية، أسمع صوتك في كل صمت.

حتى الأماكن التي جمعتنا أصبحت شاهدة على غيابك.

المحل الذي كنا نجلس فيه سويًا صار فارغًا. الكمبيوتر الذي كنت تلعب عليه لم يعد يملك نفس البريق. المسجد الذي كنا نصلي فيه خلف والدك صار يذكرني بصوتك الغائب. والطريق... الطريق الذي كنا نسير فيه أصبح مليئًا بظلال الماضي التي تطاردني.

على ظلال الوتر

كل مرة أراك، أشعر وكأنني أقف في وجه عاصفة.
قلبي يحترق، ينزف، ويموت، ثم يعود للحياة فقط ليموت مرة أخرى.
هل تذكرني؟ بكل مرة أراك، أتساءل:

هل تذكر تلك الرسالة التي كتبتها لك يوماً ونحن في الفصل؟
" تخيل لو يصير فينا زي المتنبي وسيف الدولة؟ وأنا أصير أكتب لك شعراً؟ "
ضحكت وقتها، وكنت أعتقد أن تلك اللحظة ستبقى معنا للأبد.
لكنها اليوم مجرد ذكرى، ذكرى تأبى أن تنسى، لكنها ترفض أيضاً أن تعود.

أصبحت غريباً.
غريباً يمر بجانبني، يحمل معه كل شيء كان لي، ويترك خلفه فراغاً لا يملأ.
كنت لي كل شيء، والآن، أصبحت طيفاً، ذكرى عابرة، وجرحاً لا يندمل.
وهكذا بقيت أنا...

الشخص الذي يحترق بنظراتك، وينزف كلما مررت بجانبه.
كنت القريب الذي صار غريباً، والروح التي لم تعد ترى نفسها إلا في ظلال
الماضي!

هَانَتْ عَلَيْكَ مَدَامِعِي فَهَجَرْتَنِي ** وَتَرَكْتَ قَلْبِي فِي الْأَسَى يُنْعِي الْمُنَى
مَا كُنْتُ إِلَّا عَاشِقًا أَهْدَيْتُهُ ** رُوحِي وَقَلْبِي فِي الْهَوَى مَا قَدْ جَنَى
لَوْلَاكَ مَا ذَاقَ الْفَوَاقِدَ مَرَارَةً ** وَلَا صَارَ قَلْبِي فِي الْجِرَاحِ مُبْتَلًى
لَكَ أَنَّكَ أَطْفَافُ الضِّيَاءِ بَعْتَمَةٍ ** وَتَرَكْتَ قَلْبِي يُكَابِدُ مَا جَرَى
فَامْضِ بَعِيدًا، قَدْ طَوَى حُزْنِي الْمَدَى ** وَالرُّوحُ مِنْكَسِرٌ وَقَلْبِي مَا شَفَى
سَتَظِلُّ ذِكْرِي مِنْ رَمَادٍ عَابِرٍ ** فِي صَفْحَةٍ قَدْ طُوِيَتْ، لَا تَنْسَى وَلَا تَرَى

ظلُّ في الذاكرة

كتبها قلب مشتاق، يروي بها حكاية غياب لا ينتهي.

كنت أقرب إليَّ من ظلي، كنت توأم روحي في الحياة، وكأننا وُجدنا لنكمل بعضنا. واليوم، صرْتُ وحدي، أتحنس بقايا وجودك في أماكننا المعتادة، أبحث عن وجهك بين الجالسين على مقاعد الدراسة، فأجد الفراغ يحتل مكانك، وأجد الصمت يخيم على ضحكاتنا التي كانت تملأ المكان. هل تسمعي؟ هل يصلك صوتي وأنا أناديك من بين جدران الذكريات؟ هل تدرك أن الفراق لم يكن مجرد غياب، بل كان خنجرًا مغروسًا في صدري لا ينزعه شيء؟ كلما جلستُ في مقعدي، تخيلتُك بجانبني، تهمس لي بشيء فتوقظ ضحكتي، تسرق مني الحزن كما كنت تفعل دائمًا، لكن الحقيقة تضربني بقسوتها: لم تعد هنا، ولن تعود.

كم من مرة زارك طيفك في حلمي؟ كم من مرة صحوْتُ على وجعي وأنا أبحث عنك في العتمة، وأنا أقسم أنك كنتَ هنا، أنك لم تغادر بعد؟ كم مرة وقفتُ في الساحة أتذكر خطواتنا، وأسمع في خيالي أصدااء أحاديثنا، ثم أستدير لأواجه الفراغ؟ أيُّ صدع تركته في روحي؟ لقد كان وجودك أمانًا، كان حديثك بلسماً، كان ضحكك حياةً تمشي على قدمين. فكيف لحياتي أن تستقيم بعدك؟ كيف لي أن أمضي في الدروب نفسها التي شهدت على أجمل أيامنا، دون أن أشعر أنني جسدٌ بلا روح؟ يا صاحبي، لم يعد في القلب صبرٌ على هذا الفراق، ولم يعد في العين دمعٌ يكفي لرثائك كل ليلة. أكتبُ إليك وكأنك تسمعي، وكأن الكلمات تصل إليك كما كان يصل صوتي إليك في زحمة الأيام. أخبرني، هل تفتقدني كما أفتقدك؟ هل تهيم روحك حولي كما تهيم روحي حول ذراك؟ يا صاحبي، إن كنتَ تسمعي، فاعلم أنني لم أعد كما كنتُ، وأن الحياة بعدك ليست حياةً، وأنني ما زلتُ هنا، أنتظرُ في داخلي عودةً أعلم أنها لن تأتي. لكنني رغم الفراق، لا زلت أراك...

لا زلت أراك في وجوه العابرين، في زوايا الطرقات التي شهدت خطواتنا، على طاولة الصف حيث كنا نرسم الأحلام والنكات، ونضحك على أشياء لم يكن يفهمها أحدٌ سوانا. لا زلتُ أشعر بيدك تربتُ على كتفي كلما أثقلتني الدنيا، أسمع صوتك يهمس لي: "هون عليك، لست وحدك!"، فالتفت لأجد الفراغ يبتلعني من جديد.

يا صاحبي، أما زلت تذكر؟ أما زلت تذكر أول لقاء لنا؟ كنت وحيداً، غريباً عن المكان، وكان العالم من حولي صامئاً لا يُلقي لي بالاً، حتى جئت أنت، مددت إليّ يد الصداقة، وقُدتني إلى صلاة الظهر كأنك تأخذني إلى بداية جديدة، إلى حياة لم أكن أعلم أنها ستصبح أجمل أيامي. كنا صغاراً نحلمُ بسماءٍ بلا حدود، نمضي بلا خوفٍ ولا شك، نؤمنُ أن الغدَ ينتظرنا كما نريد، ولم يخطر ببالنا يوماً أن نفترق هكذا، أن نصبح ذكرى في قلب بعضنا، أن أكتب إليك وأنا أعلم أنك لن تقرأ، ولن تجيب.

آو، يا صاحبي ... كم مرة التفتُ في الصفِّ ظاناً أنك هناك، وكم مرة سرتُ في الممراتِ أبحتُ عنك بين الوجوه؟ كم مرة قهقهتُ فجأة على نكتةٍ قديمةٍ لم يسمعها غيرنا، ثم انطفأت الضحكة حين أدركتُ أنني أضحك وحدي؟ أتعلم؟ كلما حلَّ المساء، وأرعى الليلُ سدوله، أشعر أنني وحيدٌ أكثر مما مضى، كان هذا الفراغ يتسعُ كل ليلة، يبتلعني رويداً رويداً، حتى أكاد أغرق في صمتٍ لا ينتهي.

أشتاقُ لحديثنا الطويل، لتلك الأسئلة التي لم تكن نجدُ لها إجابةً، لذلك الشعور البسيط بالأمان حين كنا نجلسُ جنباً إلى جنب، لا نحتاجُ إلى الكلمات كي نفهمُ بعضنا. لكنك لم تعد هنا ... رحلت، وتركت خلفك صدى خطواتٍ لا تزال تتردّد في رأسي، تركتَ بسمتك في الذاكرة، وتركتني في دوامةٍ من الحنين لا تهدأ. ليتك تعلمُ كم هو مؤلمٌ أن أعيشَ اللحظاتِ نفسها دونك، أن أضحكُ بلا روح، وأتحدثُ بلا شغف، وأمضي في الحياةِ كأنني لسْتُ جزءاً منها.

يا صاحبي، أخبرني ... هل تسمعُ ندائي حين أهمسُ باسمك في الليالي الباردة؟ هل تشعرُ بي حين أرفعُ رأسي إلى السماءِ وأتساءلُ أين أنت الآن؟ هل تشتاقُ كما أشتاقُ؟ أم أنني وحدي من تركتُ نصفَ روحه هناك، عند اللحظة التي قلتُ لي فيها وداعاً دون أن تدري؟ **يا صاحبي**، إن كنتَ تسمعني، فاعلم أنني لم أنسك لحظةً واحدة، وأنني ما زلتُ أعيشُ على بقايا الأيام التي جمعتنا، وأن الحياةَ من بعدك ليست إلا ظلاً باهتاً لما كانت عليه .

حين التقت عيني بعينك ... ثم انكسرت بيوم من الأيام، وأنا أسيرُ بين الجموع، وسط الضوضاء التي لم أعد أشعر بها، رأيتك ... لمحتُ ملامحك كما كنتُ أراك دائماً، نفس الوجه، نفس النظرة، نفس الوقفة التي عرفتها وحفظتها. للحظة، توقّف الزمن، وغابت الأصوات، ولم يعد في العالم سوى أنت وأنا ... نظرتُ إليك، هممتُ أن أخطو نحوك، أن أنطق باسمك، أن أخبرك كم اشتقتُ إليك، لكن شيئاً ثقيلاً كالجبل سقط على صدري، خنق أنفاسي، وكأن يدي امتدت لتلامسك، ثم اكتشفتُ أنك لست هناك، أنك مجرد ظلٍ في عيني، سرابٌ في مخيلتي. لم أستطع أن أكمل النظر ... لم أستطع أن أواجه الحقيقة التي كنتُ أهربُ منها طوال الوقت: أنك لم تعد هنا، أنك لن تعود أبداً.

خفصتُ عيني سريعًا، وكان التقاء النظر بك كان سكينًا مزَّق قلبي من جديد. شعرتُ برأسي يثقل، بأقدامي تتجمد، وكان جسدي يرفضُ تصديقَ ما أدركه قلبي من أول لحظة. كل شيء بدا خافتًا، ضبابيًا، كأنني سقطتُ في فراغٍ لا نهاية له .

كم مرةٍ شعرتُ بك هنا، لكنك لم تكن؟ كم مرةٍ مررتُ بالمكان الذي اعتدنا الجلوس فيه، فوجدتُ المقاعدَ فارغةً من كل شيءٍ إلا الذكرى؟ كم مرةٍ سمعتُ ضحكًا يشبهُ ضحكك، فالتفتُ بلهفةٍ، لأجدَ وجهًا غريبًا، لا يحملُ شيئًا منك؟ كم مرةٍ مددتُ يدي لأصافحك في أحلامي، واستيقظتُ لأجدَ يديّ تلتفتُ حول الفراغ؟ يا صاحبي، كيف يُنسى من كان نصف الروح؟ كيف أمحو صوتك من رأسي؟ كيف أكفُّ عن البحثِ عنك في الزحام؟ كيف أقنعُ قلبي أن لا ينتظرك كلَّ يوم، أن لا يحلمَ بعودتك، أن لا يشتاق إليك حتى في اللحظات التي أحاولُ أن أبدو فيها قويًا؟

كل الطرق تؤدي إليك، كل الأماكن تنطقُ باسمك، كل شيءٍ حولي يذكرني بك، حتى أنا... حتى نفسي التي لم تعد نفسي بعد رحيلك، لم أعد أنا، ولم تعد الدنيا كما كانت يا صاحبي، إن كنتَ تسمعني، فاعلم أنني ما زلتُ هنا، أبحثُ عنك في اللا شيء، وأنتظرُك بين الذكريات، وأحملُ في داخلي قلبًا لم يتعلم كيف يعيش بدونك .

على ظلال الوتر

بين نداءٍ بلا صدى.. ولقاءٍ بلا وصول

التفكير المفرط.. أه منه، ذاك السيف المسلط على هدوء الليل، يطعن الروح ينصل الذكري، ويبعثر القلب في دروبٍ لا رجوع فيها. كيف لليل أن يمنحني السكون، وأنا مسجونٌ بين أروقة الماضي، أفتش عن وجوه غابت، عن أصواتٍ صمتت، عن أرواحٍ رحلت فلم تترك لي إلا الفراغ؟ الذين مضوا، لم يأخذوا معهم سوى أجسادهم، لكنهم تركوا خلفهم وجعًا مقيمًا، لا يشيخ ولا يزول.

كلما أغمضت عيني، أراهم في حلمٍ نصفه يقظة، ونصفه حنين، وما أقسى أن تتحدث إلى من لا يسمعك، أن تشتاق لمن لا يعود، أن تمتد يدك نحو ظلٍ لا ملمس له. أما الآخرون، أولئك الذين فرقنا عنهم الدنيا لا الموت، فهم أشد مضاضة. أن تراهم ولا تصل إليهم، أن تراقبهم من بعيد، كمن يقف خلف زجاجٍ عازل، يرى النور لكنه لا يشعر بدفئه.

لقد فسد الود، وتعكرت المياه، وها أنا حائرٌ بين وجعٍ لا دواء له، وذكري لا تموت، وغصةٌ تسكن الحلق فلا تنطق ولا تزول. فما أشد العذاب حين يكون النظر للقلب لا للعين، فالعين ترى، لكنها لا تلتقي، أما القلب، فإذا رأى فقد وصل، وإذا وصل فقد التحم، وما أقسى أن ترى بقلبك من خُرمت لقاءهم بعينيك. فهنا، لا الحضور حضور، ولا الغياب غياب، بل هو تيهٌ بين الاثنين، عذابٌ مستمر، كجرحٍ لا يلتئم، كنداءٍ بلا صدى، كقلبٍ ينبض في قفصٍ من ألم.

لله درّ المتنبّي حين قال: "وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظره... إذا استوت عند الأنوار والظلم" فما نفع العين إن كانت لا تصل إلى من نحب؟ وما نفع الأيام إن كانت تسرقنا ممن نشاق إليهم؟ وكيف أطفئ نارَ الفكر إذا اشتعلت؟ وكيف أسكت صوتَ الذكري إذا صاح؟ الليل طويل، لكنه ليس أطول من وجعي، والسكون عميق، لكنه لا يعمق أكثر من ندباتي.

على ظلال الوتر

أنا لست وحدي، بل معي أطيافٌ تملأُ غرفتي، وجوهٌ أعرفها، أصواتٌ تهمس، خطواتٌ سمعتها يوماً ثم غابت. أجلسُ بين جدرانٍ تعرفُ سرِّي، وحدي.. لكنني لست وحيداً، فالأمواتُ معي بذكرهم، والأحياءُ أمامي بغيابهم. ومن العذاب أن تعيشَ بين شوقٍ لا يُطفأ، ولقاءٍ لا يتحقق، وحنينٍ ينهش قلبك كذئبٍ جائع .

أتساءل، هل يشعرُ الراحلون بمن بقي؟ هل تلمسُ أرواحهم حزننا عليهم؟ أم أنهم في عالمٍ آخر، قد جُفَّت بينهم وبيننا سبلُ الوصل؟ والله والله لو كان للموتِ باب، لطرقته، لا لأدخل، بل لأسأل: أما زلتم تذكروننا؟ أما زلتم تسمعون النداء حين نلهم بكم؟ أم أنكم رحلتم بلا التفاتةٍ، وتركتمونا نحملُ ذكراكم كحملٍ ثَقِيلٍ، لا ينقصُ لكنه يرهق؟ وأولئك الأحياء الذين غدوا كالغرباء، كيف مضوا ولم يلتفتوا؟ كأن المودةَ لم تكن، كأن العمرَ الذي اقتسمناه صار هباءً! أراهم ولا أصلُ إليهم، وأشتاقهم ولا يسمعون، وما أصعب أن تصبح الذكرى جداراً، كلما هممت بعبوره، أعادك الألم حيث كنت! فإن كان الموتُ فراغاً لا اختيار لنا فيه، فكيف بالذين يمشون فوق هذه الأرض، ولا تصلُ إليهم أقدامنا؟ كيف بمن كانوا يوماً نبضاً لنا، ثم أصبحوا صمتاً؟ نحن لا نموتُ حين يغيبون، بل نموتُ حين لا نستطيعُ نسيانهم، حين يبقى صوتهم في الأذن، وملامحهم في القلب، وحضورهم رغم الغياب أشدَّ من أي حضور. فلهذا دُرُّ القلب، كيف يحتمل؟ وكيف لا يتكسر من كل هذا الشوق المؤجل؟

"لا يُميتني الغياب، بل الحنين لمن لا يعود، والاشتياق لمن لا يسمع"

"كلما هممتُ أن أنسى، مرّت الذكرى كطيفٍ يهمس: أنا هنا، لا تنس"

الغريب ليس من لم نعرفه... الغريب هو من عرفناه حدَّ الوجع، ثم أنكره الطريق"

حادثٌ واحد... قتلها وقتلني معها

هل سبق لك أن فقدت شخصًا كان يعني لك العالم؟ هل جربت أن يختفي صوتٌ كنت تعتقد أنه سيبقى معك للأبد؟ هل شعرت يومًا أن الحياة سرقت منك أحدًا دون أن تمنحك حتى فرصة الوداع؟

لم أكن مستعدًا لفقدانها. لم أكن مستعدًا لأعيش في عالمٍ هي ليست فيه. لكنها رحلت، وانتهى كل شيء في لحظة. لم يسبق لي أن فكرت في الموت بجدية حتى أخذها مني، حتى تركني وحيدًا في هذه العتمة التي لا تنبدد.

كانت أكثر من مجرد صديقة، كانت الجزء الذي يكملني. لم يكن حضورها عاديًا، بل كان أشبه بنسمة هواء باردة وسط حرٍّ خانق، كانت شيئًا لا يمكن تجاهله أبدًا. شعرها الأسود الطويل لم يكن مجرد خصلات مسترسلة، بل كان قطعة من هذا الليل الممتد، يتراقص مع الريح وكأنه موجة صامتة تحمل معها سرَّ الحياة. كانت تمرر أصابعها فيه بلا اكتراث، تحركه إلى الخلف أو تتركه يسقط على كتفيها كما لو كان امتدادًا لها، كأنه يشاركها نبضها.

لكن ما كان يأسرني حقًا هو عيناها. عيناها اليمنى عسليّة، دافئة كحلٍ جميل، لونها يشبه أوراق الخريف التي تسقط بهدوء، تحكي قصصًا لم تقلها بصوتها. أما اليسرى، فكانت رمادية، باردة كضوء القمر حين ينسكب على البحر في ليلة صافية. كان في هذا التناقض شيء مدهش، شيء يجعل النظر إليها تجربة لا تتكرر، وكأنني أقف على عتبة عالمين مختلفين، أحدهما يحتضنني والآخر يتركني للضياع!

كبرنا معًا، تشاركنا الضحكات الصغيرة في زوايا الروضة، خبأنا أسرارنا في دفاترنا القديمة، تبادلنا الحلوى وقطع السندويشات كأننا نتقاسم العالم نفسه. لكن القدر قرر أن يفرق بيننا، أن يضع بيننا المسافات، أن يجعلني أحاول تذكر صوتها من خلال الرسائل الباردة والمكالمات النادرة. عشر سنوات مضت قبل أن نلتقي من جديد، وكأن الدنيا أرادت أن تعيد لي جزءًا مما فقدته...

لم يكن اللقاء عادياً. كان مزيجاً من الشوق واللهفة والدموع التي حاولنا إخفاءها. تحدثنا بلا توقف، ضحكنا كما كنا نفعل ونحن أطفال، وكأنا نحاول تعويض كل لحظة ضاعت. رأيتهما تجلس أمامي، تحمل القهوة بين يديهما، ترفع حاجبها الأيمن حين تمزح، تلمس طرف شعرها حين تفكر، كنت أراقبها وكأنني أحاول تثبيت كل تفصيلة منها في ذاكرتي، دون أن أعلم أنني سأحتاجها لاحقاً أكثر مما ظننت.

وفي عيد ميلادها الأخير، الذي كان يصادف عيد ميلادي أيضاً، أردت أن أهديها شيئاً مختلفاً، شيئاً يبقى معها، شيئاً يجعلها تتذكرني كما كنت دائماً أذكرها. كنت أعرف أنها تعشق العطور، كنت أعرف أنها تحب روائح الفاكهة والزهور، فاخترت لها زجاجة يعطر برائحة التوت الأحمر ممزوجة برائحة الياسمين والفانيليا، رائحة كانت تشبهها تماماً، خليطاً من الأنوثة والحياة والدفء. لففت العطر بعناية، ووضعت بطاقة كتبْتُ فيها: "لأنك تشبهين العطر الذي لا يُنسى، ولأن وجودك في الحياة كان دائماً أجمل الهدايا" لم أكن أعرف أن هذا العطر سيبقى معي أكثر مما بقيت هي، أنني سأحمله وأشمّه كل ليلة وكأنني أحاول استرجاع وجودها.

لكن الحياة كانت تملك خطأً أخرى. كانت تريد أن تأخذها قبل أن نعيش كل ما خططنا له، قبل أن نبدأ من جديد، قبل أن نحصل على فرصة ثانية. حادثٌ لعين!، لحظة واحدة!، وهاتف يرن ليخبرني أن كل شيء انتهى! لم يسمحوا لي بروئيتي، لم يمنحوني حتى وداعاً أخيراً. كيف يمكن لشخص أن يختفي فجأة؟ كيف يمكن لضحكة أن تتلاشى، لصوت أن يسقط في الفراغ، لملاح أن تتبدد وكأنها لم تكن؟ قالوا لي إنها لم تشعر بشيء، لكنهم لا يعرفون أنني شعرت بكل شيء!

منذ ذلك اليوم، لم أعد كما كنت. لم أعد أضحك كما كنا نضحك معاً، لم أعد أحتفل بعيد ميلادي، لأن هذا التاريخ صار يعني لي شيئاً آخر، صار يعني لي يوم الفقد، يوم الفراغ، يوم انتهى كل شيء. لم أعد أقوى على سماع أغنيتنا المفضلة، لم أعد أقرب من الأماكن التي جمعتنا، لم أعد حتى أشم رائحة ذلك العطر دون أن أشعر أن صدري يضيق وكأنني أغرق في شيء لا نهاية له.

يقولون إن الزمن يشفي، لكنه لم يشفي شيئاً. لم يُعد لي صوتها، لم يُعد لي ملامحها، لم يملأ الفراغ الذي تركته في حياتي. أعيش في ظلال الذكرى، أسير في طرقاتها، وأبحث عن ملامحها في المرايا التي لم تعد تعكس إلا وجوهاً باهتة. في كل ليلة،

أغمض عيني فأراها هناك، تبتسم كما كانت دائماً، ثم تختفي مع أول خيط للفجر،
تاركة قلبي يحترق من جديد.

رحلت... وتركتني في عالم لم يعد يشبهني...

"العطر ما زال هنا، لكنها لم تعد...!"

"بعض الغياب لا يُعوض، وبعض الأرواح حين ترحل... تأخذ معها نبض الحياة"

"لم أودّعها، لكنها ودّعت كل شيء في داخلي"

"لا أحد يراكَ تبكي كل ليلة، ولا أحد يشعر بمدى الثقل الذي تركه الغياب"

"الذاكرة أقسى من الموت... لأنها لا تنسى من رحل"

عيونٌ تأسِرُ القلوب

ماذا لو كان الشخص الذي تُعتبر معرفته بمثابة نعمةٍ غالية، هو شخصٌ أصغر منك بسنة واحدة فقط؟ هل يمكن أن يغير هذا الفارق البسيط في العمر كل شيء حولك؟ كيف لشخص في مثل هذه السن أن يمتلك من الحكمة والعمق ما يفوق بكثير من يعتقدون أن الحياة لا تعلمهم إلا بتجاربهم الطويلة؟ هل سبق وأن قابلت شخصاً يترك في روحك أثراً لا يمكن محوه، ويجعلك تشعر بأن الكون قد اختزل في شخصه؟

لقد قابلتُ في حياتي الكثير من الأشخاص، لكن من النادر أن يمرّ بك شخصٌ يترك أثراً في روحك لا تستطيع محوه، شخصٌ استثنائيٌّ بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وكأنما اختزل الكون في هيئته. صديقي هذا، وإن كان أصغر مني سنّاً بعام، فإن في نضجه وحكمته ما يجعل الأعمار تفقد معانيها أمام رجاحة عقله وسعة أفقه.

إن أكثر ما يُدهش في حضوره هو عيناؤه، تلك العينان اللتان لا تشبهان إلا أنفسهما. فيهما امتزجت ألوان الحياة، وكأنهما وُضعتا لثبرز كل ما هو فاتن وساحر في هذا العالم. عندما تلتقي عيناك بعينيّه، تشعر وكأن الزمن يتوقف، وأنت أمام لوحة فنية نُقِشت بكل تفاصيل الجمال الممكنة. ليست عيناؤه جميلتين فحسب، بل فيهما شيء أعمق، شيء يجعلك تغوص فيهما دون أن تملك خياراً للعودة، فيهما دفءٌ يخترقك، وصدقٌ يجبرك على احترامه، وسكينة تملأك طمأنينة.

ولكن، جماله لا يقف عند العينين. إنه جمالٌ يتجاوز المظهر، ليصل إلى جوهره. إنه ذاك النوع من الجمال الذي يتسلل إلى القلب دون استئذان، ليزرع فيه مشاعر الإعجاب والتقدير. أخلاقه، هي تاجه الحقيقي، تاجٌ يرفع مقامه بين الناس، يميزه عن أقرانه، ويجعله أشبه بنجمٍ في سماءٍ مكتظة بالضوء. حديثه، بأسلوبه الراقي وعمقه المميز، يأسرك في لحظة. لا يتكلم إلا ليُضيف معنى، ولا يُجادل إلا ليُبني جسوراً من الفهم.

رغم صغر سنّه، فإن حكمته تضاهي الكبار، بل وتتفوق عليهم في أحيان كثيرة. أراه دائماً شخصاً يُتقن فن التعامل مع المواقف، مهما كانت معقدة. لديه تلك النظرة العميقة التي تُفاجئك، ذلك البُعد الذي يجعلك تدرك أنك أمام شخصٍ قادرٍ على رؤية ما يعجز الآخرون عن ملاحظته. تصرفاته دائماً ما تكون انعكاساً لسمو شخصيته، فهو لا يُسيء حتى حينما يكون الحق معه، ولا يختار إلا طريق العدل والطيبة، مهما بدا الطريق الآخر أسهل.

وفي أوقات كثيرة، أجلس مع نفسي وأفكر: كيف استطاع هذا الشخص أن يجمع كل هذا في ذاته؟ كيف استطاع أن يكون رمزاً للجمال والوقار في عالمٍ مليء بالفوضى؟ عندما أتأمل

صداقتنا، أدرك أنها نعمة حقيقية. ليس فقط لأنه صديقٌ وفيّ، بل لأنه شخصٌ يُلهمك لتكون أفضل. هو ليس مجرد صديق، بل هو مرآة لما يمكن أن تكون عليه البشرية في أنقى صورها.

الجميع يحبه، لا لأنهم مضطرون لذلك، بل لأن شخصيته تفرض نفسها على القلوب دون عناء. هو من أولئك الأشخاص الذين يجعلون العالم مكاناً أجمل بمجرد وجودهم فيه. ومن يعرفه، لا يستطيع إلا أن يقدر وجوده ويشعر بالامتنان لأنه جزءٌ من حياته.

كتبْتُ عنه هذه الكلمات، لا لأنني أردت الإطراء، بل لأنني شعرت أن جماله، داخلياً وخارجياً، يستحق أن يُخَدَّ في الكلمات. إنه صديقي الذي سيبقى دائماً علامة فارقة في حياتي، رمزاً لكل ما هو جميل ونقي.

رَأَيْتُ فِيكَ جَمَالَ الْكَوْنِ مُجْتَمِعًا *** وَكَأَنَّما الْحُسْنَ فِي عَيْنَيْكَ قَدْ وُضِعَا

عَيْنَاكَ لَوْنَانِ مِنْ أَسْرَارِ الزَّمَانِ *** فِيهِمَا السِّحْرُ، وَالْعَالَمُ قَدْ طُبِعَا

يَا صَاحِبَ الْخُلُقِ السَّامِيِّ، وَرَفَعَتُهُ *** حَدِيثُكَ شَهْدٌ يُسَكِّرُ السَّمْعَا

أَنْتَ الْأَصْغَرُ سِنَّاً، غَيْرَ أَنَّ بِكَ *** حِكْمَةَ الْكِبَارِ، كَالْبُذْرِ إِذَا امْتَلَأَ

أَخْلَاقُكَ النَّجَّى، بَلْ تَاجٌ يُضِيءُ لَنَا *** وَأَسْلُوبُكَ الْعَذْبُ فِي الْأَلْبَابِ قَدْ زَرَعَا

يُحِبُّكَ النَّاسُ، لَا جَوْرًا، وَلَا وَهْمًا *** لَكِنَّ حُبَّكَ فِي الْأَرْوَاحِ قَدْ سُكِنَا

مَا شَاءَ رَبِّي عَلَى شَخْصٍ كَمَالَ بِهِ *** جَمَعَ الْجَمَالَ، وَأَدَبًا سَاحِرًا مَعَنَا

فَأَبْقَى كَمَا أَنْتَ، رَمْزًا لِلنَّقَاءِ لَنَا *** فَالطَّيِّبُ أَنْتَ، وَكُلُّ الْخَيْرِ فِيكَ بَدَا

على ظلال الوتر

الهجر الجميل... حين يكون القرار حياة

"وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا"...

كلّما قرأت هذه الآية، شعرتُ بأنها لم تُنزلْ إلا لتوقظ شيئاً نائماً في صدري، كأنها يدٌ هادئة تمسح على قلبي وتقول: "أجل، قد آن أوان الخلاص" هي ليست مجرد كلمات... بل جرس يُقرع في أعماقنا، ينادينا أن نبتعد، لا خوفاً ولا غضباً، بل بحثاً عن طمأنينة ضائعة بين أيدي من لا يُحسن حملها.

كنتُ أظن أن الهجر شكل من أشكال الفقد، لكنني أدركت لاحقاً أنه صورة من صور الحياة الجديدة.

حين أفكر في "الهجر الجميل"، أسترجع تلك الأيام التي كنتُ أتمسكُ فيها بما يُرْهقني، كما أتمسكُ الفراشة بجناح مكسور، تحاول الطيران به، بينما كل شيء فيها يتوسل السكون. كنتُ أبقى، لا لأن المكان يستحقني، بل لأن قلبي لم يعرف كيف يغادر.

لكن الهجر الجميل، كما عرفته بعد التجربة، هو أن تمضي بلا صوت، بلا انكسار، بلا تجريح... أن تمضي لأنك أدركت أخيراً أن البقاء يكلفك روحك. أن تقول: "شكراً لما كان، لكن قلبي لم يعد يحتمل"

تعلمت أن الهجر الجميل لا يأتي من الكراهية، بل من احترام الذات. أنه ليس قطيعة، بل نجاة. كنتُ كالغزال العالق في الوحل، يحاول القفز، لكنه يغرق أكثر كلما حاول النجاة باندفاع.

ثم جاء يوم، وقلت:

"أنا تعبت"

ليس استسلامًا، بل وعيًا.
وعَيُّ أنني أستحق أن أعيش بلا خوف، بلا قلق، بلا محاولات يائسة لإرضاء من لا
يشعر بثقلي.

الجميل في هذا الهجر، أنه يُعيدك إليك.
كانك كنت ضائعًا في زحام من الوجوه، والآن، وجدت الطريق إلى مراتك الأولى.
بدأت أكتشف في نفسي وجوهاً لم أكن أعلم بوجودها،
وجوه شخص لم يتوقف عن الحب... لكنه لم يعد مستعدًا لتقديم قلبه قريبًا لأحد.

أنا لم أهرب، بل اخترتُ أن أكون حكيماً.
كل المحاولات التي خضتها للحفاظ على ما تكسر، كانت تُهكني.
الهجر هنا كان قرارًا، لا رد فعل.
كان كأنك تطفئ شمعة تشتعل في عاصفة... لا تنير، ولا تدفئ، بل تحرق!

ولأنني بشر، ما زلت أبكي أحيانًا،
وما زالت بعض الذكريات تمرّ عليّ كنسمةٍ من شتاء قديم...
لكنني كلما بكيت، شعرت أنني أتخفف من حملٍ لا يُراني.
كل دموعه، كانت تُذيب جزءًا من الماضي،
وكل تنهيدة، كانت تبني لي جسراً نحو حياةٍ أكثر هدوءًا.

الهجر الجميل لا يعني أن تكرهه،
بل أن تغادر وأنت ساكن القلب.
أن تقول لمن أذاك: **"لن أُوذيكَ، لكنني لن أعود"**
أن تختار نفسك في زمنٍ يطلب منك أن تكون للجميع... إلا لنفسك!

أنا اليوم لست منفياً من أحد...
أنا عائد إلى نفسي.

ولأول مرة منذ زمن بعيد، أسمع خطواتي... لا خطوات غيري.
أتنفس هواءً لا يفسده وجود من لا يؤمن بي.
أمشي في أرضٍ زرعتها أنا... بنفسي.

الهجر الجميل لا يعني التخلي عن الناس،
بل التخلي عن الألم الذي ربطوه بك.
هو أن تعود إلى كهوفك الأولى، أن تعتني بجروحك كما تعتني الذئاب بفرائسها...
ليس بشراسة، بل بصبرٍ طويل.

اليوم، أعيش بتوازن... ليس لأن العالم تغير، بل لأنني أنا تغيرت.
أصبحت أختار بعناية،
أين أضع قلبي،
ومتى أفتحه،
ولمن أعطيه.

في كل مرة أبتعد فيها عما لا يُناسبني،
أشعر أنني أقترّب من تلك النسخة النادرة مني...
النسخة التي طالما حلمتُ أن أكونها،
لكنني كنت أضيع عنها،
في الزحام... في الخوف... في التعلق.

الهجر الجميل، يا صديقي، ليس نكراناً للذي كان...
بل امتناناً هادئ، ثم قراراً ألا تُعيد الحكاية.

على ظلال الوتر

أنا الآن بخير...

أنا الآن بخير... لا كما يُقال في المجاملات العابرة، ولا كما يُكتب في بطاقات العزاء العاطفية.
بل بخيرٍ حقيقية، بخيرٍ نضجت بعد حريق، وتشكلت من رماد ما كنت أظنه النهاية.

مررتُ بالكثير، ولا أنكر أنني في لحظاتٍ كثيرة ظننت أنني لن أخرج من كل ذلك سليماً.
كانت الأيام تمضي ببطءٍ مؤلم، والليل ثقيلٌ كجبل،
وكان كل شيءٍ في داخلي صامتاً إلا قلبي...

مرت عليَّ أيامٌ كنت أشعر فيها بأنني مجرد شجرةٍ يابسة في قلب غابة خضراء،
كلّ من حولي يزهر... وأنا؟
كنت أقاوم الجفاف، وأصمت.

ولكنني الآن بخير،
لأنني أدركت أن الشتاء لا يدوم،
وأن بعض الأشجار لا تموت... بل تنتظر موسماً فحسب.

أنا الآن بخير، لأنني تعلّمت أن لا أركض خلف من لا يلتفت،
أن لا أعلق قلبي على باب أحد، وأن لا أحمل الآخرين عبءَ إسعافي.

أدركت أن لكلِّ واحدٍ في هذا العالم معركته التي لا تُرى،
وأنا حين نحزن، لا يعني أننا ضعاف، بل يعني ببساطة أننا أحياء.

هل ما زالت الذكريات تؤلمني؟
نعم، أحياناً... تمرّ بي كما تمرّ الريح في حقول خالٍ،
تخربش داخلي، وتُربك سكوني.
لكنني ما عدتُ أقاومها، بل أفسح لها مكاناً صغيراً... ثم تمضي.

كنتُ أظن أن الألم حين يزول، سينتهي كل شيء...
لكنه لم ينتهِ، بل تحوّل.
صار أكثر رقة، أكثر نُضجًا،
كالصخر الذي صقلته الريح والمطرُ عبر الزمن،
صار يحمل ملامح الصبر... لا الشكوى

أنا الآن بخير، لأنني غفرت
غفرتُ لمن آذاني دون أن يعلم،
ولمن علم... ولم يعتذر.
وغفرتُ لنفسي...
على كل مرةٍ سامحت من لا يستحق، وصدّقت من لا يصدق.

أنا الآن بخير...
لأنني نظرتُ يومًا إلى وجهي في المرأة،
ولم أبك.

بل ابتسمت، وقلت:
"نجوت، يا صديقي... نجوت"

أصبحت أعلم أن الحياة ليست لوحةً كاملة،
بل فسيفساءً من لحظات... بعضها يؤلم، وبعضها يُضيء،
وأنتي مهما تهشمتُ،
فما زلتُ أملك القدرة على أن أكون لوحةً صالحة للحياة.

أنا الآن بخير،
لأنني صرت أعرف أن البكاء لا يضعفني،
وأن الوحدة لا تعني أنني منبوذ،
وأن كلّ من تركني، علّمني كيف أعود إليّ

فلا تسألني إن نسيت،
ولا تلمني إن ابتعدت...

أنا فقط الآن بخير،
بقدر ما تكسر الإنسان ثم يختار أن يبني نفسه مجدداً!

لك أنت أيضاً، يا من تقرأ هذا...
قد لا تكون بخير اليوم،
لكن ثق، تماماً كما فعلتُ:
أن الخير سيأتي، وربما لا على هيئة سعادة،
بل على هيئة سلام داخلي، لا يطلب الكثير... ويمنحك كل شيء.

"الآلم لا يغادرنا تماماً، بل يتعلم كيف يجلس بهدوء في الزاوية"

"أنا لا أنسى... ولكني أختار أن لا أعود!"

"بعض النهايات ليست خيبة... بل خلاص"

"لقد نجوت... وهذا يكفي لأن أواصل الحياة"

"ما عدتُ أبحث عمن يُنقذني... أصبحتُ أنقذ الإنقاذ وحدي"

أطيات في جُبةِ الليل...❧

هل شعرت يوماً أن الليل يصبح أكثر من مجرد فترة راحة؟ هل تساءلت في لحظات معينة لماذا كلما جاء الليل، يزداد عقلك يقظة؟ هل هو مجرد خوفٍ من المجهول؟ أم أنني عالق في دوامة من التفكير الذي لا ينتهي؟ أأنام؟ أم أظل مستمراً في التفكير؟ ماذا لو كان الصمت الذي أعيشه في ظلام الليل هو صدى لكل شيء لم أستطع قوله في النهار؟

هناك شيء في داخلي يخفيه هذا الظلام، شيء أخشى أن أواجهه ربما يكون الظلام هو مجرد انعكاس لأسئلتني التي لا تجد لها إجابات. هل من الممكن أن يكون الأمل مختبئاً في هذه اللحظات، أو ربما أضعت الطريق إليه دون أن أدرك؟

هل تجد نفسك في كل مرة تشعر بالوحدة تتساءل: ماذا لو كان هذا الصمت في أعماقي هو الجواب الوحيد الذي أحتاجه؟ هل يمكن أن أخرج من هذا العالم الذي صنعته حولي، أم أنني عالق بين الماضي والحاضر؟ هل أبحث عن إجابة لأسئلتني في الظلام أم أنني أخاف من النور الذي قد يكشف لي الحقيقة التي لا أريد رؤيتها؟

أنا هنا، في هذا الليل، أفكر في كل شيء مضى. كيف بدأت القصة؟ وما الذي جعلني أستمّر في التعمق في هذه العتمة؟ هل هو الندم، أم أنني لا أستطيع الهروب من ذاكرتي التي تطاردني؟ أبحث عن إجابات، أبحث عن معنى لما مررت به، وأشعر وكأنني في رحلة لا نهاية لها مع نفسي.

عندما يصبح الليل ثقیلاً، يصبح عقلي ساحة معركة، حيث يعذبني التفكير الذي لا يتوقف. في هذا الظلام، كل شيء يصبح أكبر، أكثر غرابية، وأكثر تعقيداً. أفكر في كل شيء، وأنتقل من فكرة إلى أخرى، كأني غارق في مستنقع من الأسئلة التي لا أجد لها نهاية. ساعات الليل تزداد ثقلاً، وكلما غلبني الصمت، ازدادت جراحاتي في الداخل!! الليل.. ذلك الزائر الثقيل الذي يأتي دون استئذان، يجلس بجانبني كأنه يعرف كل أسرارِي، يحدق فيّ بصمت، كأنه يتحداني أن أهرب منه كل ليلة، حين ينام.

العالم، أجد نفسي عالقًا في دوامة من الأفكار التي لم أجد لها وقتًا في النهار. ليس وكأنني أريد أن أفكر، لكن عقلي يرفض أن يصمت، كأنه استيقظ فجأة ليحاسبني على كل شيء لم أواجهه.

لماذا يبدو الليل مختلفًا؟ لماذا يصبح كل شيء أكثر وضوحًا حين يعمّ الظلام؟ أشعر أحيانًا أن الليل ليس سوى مرآة تعكس كل ما حاولت تجاهله. الذكريات، الندم، الأحاديث التي لم تُقَل، القرارات التي لم أأخذها، كلها تنهض من سباتها لتلاحقني. كأنها تنتظر هذه اللحظة بالذات لتخرج، عندما أكون وحدي، بلا أصوات تشتتني، بلا حياة صاخبة تخفيها عني.

أغض عيني، محاولاً أن أهرب.. لكن الهروب من رأسي مستحيل! أفتحها مجددًا، أهدق في السقف.. الأسئلة تتزاحم داخلي: هل كان بإمكانني أن أتصرف بطريقة مختلفة؟ هل كنت على صواب؟ هل أضعت شيئاً دون أن أدرك؟

كم مرة فكرت في أن كل شيء سينتهي بمجرد أن أنام؟ لكن النوم ليس ملجأً كما يبدو.. أحياناً، حتى الأحلام تخونني، وتحول ليلي إلى شاشة عرض لكل ما هربت منه في النهار.

أحياناً أشعر أن الصمت في داخلي ليس مجرد فراغ، بل هو صوت الحقيقة التي أخشأها ربما هذا ما يجعل الليل ثقیلاً، ليس الظلام بحد ذاته، بل ما يخفيه داخلي.

لكن، وسط كل هذا.. هناك لحظة، مجرد لحظة، حين يبدأ الفجر في الزحف ببطء، حين يتغير لون السماء، حين يصبح الظلام أقل وحشية.. في تلك اللحظة، أشعر أنني لست وحدي تمامًا. أشعر أنني ما زلت أملك فرصة، أن الليل ليس نهاية، بل بداية جديدة.. ربما.

على ظلال الوتر

يا ليلُ، هل غابَ في أصدانك الأملُ؟ *** أم أن صمتك في أعماقي اشتعلُ؟

مددتُ كفي في ليلِ الهمِّ أبحتُ عن *** نجمٍ تقطع في أنفاسِهِ الخجلُ

أنوحُ، والريخُ في أضلاعِها وجعٌ *** كأنما الدهرُ من أنفاسِها ثملُ

يا ليلُ، هل تحت أثوابِ الدجى صفرٌ *** أم في جحيمك نورٌ ضلَّه السبيلُ؟

سوداءُ، أبصرتُ وجه الكونِ مُغترباً *** وكُلُّ ما كنتُ أرجوه أنطفئ وخفلُ

يا ليلُ، قل لي أهذا الصمتُ يخذلنا؟ *** أم نحنُ وحدُ الحكايا حينما تخفُ؟

نُطفي المصابيحَ، ظناً أننا نفرٌ *** ونخلقُ العتمَ كي لا يبدو ما نُسلُ

ولكنك، يا ليلُ، في عمقنا تغني *** مراراً، بعتمةِ الذكرى، مجروحٍ ومتحبلٍ.

الذي لم يفهم يوماً... ١

هناك نوع من الأشخاص لا يُحكي عنهم كثيرًا، رغم أنهم يمشون بيننا كل يوم، يضحكون أحيانًا، يشاركون في الأحاديث، يلقون النكات حتى، لكن لا أحد يفهمهم حقًا. هؤلاء هم الذين لم يفهموا يومًا.

هو ذاك الشخص الذي يجلس وسط الجميع، لكنه يشعر وكأن بينه وبين العالم ستارة شفافة، يرى من خلالها كل شيء، لكن لا أحد يراه كما هو. يظن البعض أنه قوي، لأنه لا يتحدث كثيرًا، أو لأنه لا يطلب شيئًا. لكن الحقيقة؟ هو فقط تعود أن لا يفهم، فصمت.

الذي لم يفهم يومًا... هو من يحمل آلاف الأسئلة في داخله، لكنه لا يسأل أحدًا، لأنه تعلم أن الأجوبة ليست للجميع. هو من يكتب رسائل ولا يرسلها، يضحك وهو يحاول إقناع نفسه أن الأمر لا يستحق أن يُشرح، لأن لا أحد سيُصغي كما يجب.

قد يقولون عنه "غامض"، أو "مختلف"، أو حتى "بارد". لكنهم لا يعرفون كم مرة حاول أن يكون واضحًا، كم مرة أراد أن يشرح ما يشعر به، أن يقول: "أنا مش بخير" دون أن يخاف من الرد. هو ليس غامضًا، هو فقط خائف من أن يكسر مرة أخرى.

الذي لم يفهم يومًا... يتمنى أحيانًا أن يقترب أحد منه، لا ليعطيه حلوًا، بل فقط ليسأله: "شو مالك؟"، ويعنيها فعلًا. أن يحتضنه أحدهم، دون أن يطالبه بتبرير الدموع.

أحيانًا يبدو عاديًا جدًّا. يضحك مع الناس، يرد على الرسائل، يشارك القصص... لكن قلبه مليء بأحاديث لم تُقال. أفكار لم تُكتب. مشاعر لم تجد حضنًا.

هو فقط... يحتاج من يرى عمق قلبه، لا سطح كلماته.
يحتاج من يصمت معه، لا من يُجبره على الكلام
يحتاج من يقول له: "أنا معك، حتى لو ما حكيتش".

إلى من يشبهني،
أعلم كم هو مُرهق أن تحمل قلبًا لا يفهمه أحد.
أن تسيّر بين الناس وكأنك تبتسم، بينما روحك تُناجي شيئًا لا يُقال.
أن تُخفي حزنك خلف ضحكة قصيرة، وتقول: "لا بأس"، وأنت تمتلئ بالآلف بأس.

لكن دعني أقول لك: **لست وحدك**.
ولست غريبًا كما ظننت، ولا مكسورًا كما شعرت، أنت فقط إنسان... يشعر بعمق،
ويتألم بصمت، ويشتاق دون صوت.

لا تخجل من شعورك، ولا تعتذر عن حزنك.
ليس في قلبك عيب، ولا في دموعك ضعف، بل فيك طهر لا يراه إلا من يشبهك.
وحتى إن لم يفهمك أحد الآن، سيأتي يوم يراك فيه أحدهم كما أنت تمامًا... دون حاجة
لشرح، دون تكلف، دون سؤال.

فاصبر...

واكتب، إن لم تجد من يُنصت.
وكن طيبًا، حتى لو خذلوك.
وآمن، أن الطفولة التي في قلبك، ليست سذاجة، بل قوة نقيّة.

ولعلك كنت بحاجة إلى هذه الرسالة، لا لتغيرك، بل لتذكرك:
أنت بخير... وأنت جميل، حتى وإن لم يفهمك أحد!.

حتى الفراغات ... ■

قد تكون هذه الصفحة غائبة، لكن الغياب نفسه ليس إلا جزءاً من الرحلة.

في كل مرة نمر بلحظة مفقودة، نجد أن هناك شيئاً آخر يحدث في أعماقنا، شيئاً يصعب التعبير عنه بالكلمات.

الكتاب لا يقتصر على ما نراه على الورق، بل هو ما نعيشه بين السطور وما لا يمكن تصويره.

قد تكون هذه الصفحة مفقودة، ولكنها ليست النهاية. لأن الرحلة لا تُقاس بعدد الصفحات، بل بما خلف كل فكرة، وما وراء كل كلمة، وحتى الفراغات في هذا الكتاب هي جزء من القصة!

كاتب الظل :

حارس النعمة في صمتها،
ورفيق الألم حين يعجز الجميع.

ما الفرق بين الوحدة والانفراد؟

أجلس أحياناً وحدي
ليس لأنني غاضب، ولا لأنني مكتئب،
بل لأنني أبحث عن صوتي بين الأصوات،
عن ملامحي الحقيقية، تلك التي لا تنعكس في أعين الآخرين، بل في صمتي.

هل أنا وحيد؟
ربما... لكن ليس دائماً.
هناك فرق بين أن تكون **وحدك**،
وبين أن تشعر بأنك **وحدك**.

أجلس في زاوية هادئة من العالم،
أراقب الضوء وهو يمرّ عبر أوراق الشجر،
أسمع الريح، وهي تقول شيئاً لا يفهم بالكلام،
وأشعر أنني، في هذه اللحظة، ...
أقرب إليّ من أي وقت مضى.

الوحدة شعور ثقيل،
كأنك في حفلة صاخبة، ولا أحد يراك.
كأنك تمشي في شارع مزدحم، لكنك تظلّ شفافاً،
كأنك تضحك لأن الجميع يضحكون، لا لأنك تريد.

أما الانفراد...
فهو أن تختار أن تصمت، لأن الصمت أصدق.
أن تبتعد، لا لأنك منفي، بل لأنك ترغب أن تُرمم نفسك بعيداً عن الضجيج.

حين أنفرد بنفسي،
لا أشعر أنني غريب،
بل أشعر أنني في حضن روعي...

على ظلال الوتر

في مساحة لا أحد يحاسبني فيها على مشاعري،
لا أحد يطلب مني تفسير كل ارتباك،
ولا أحد ينتظر مني أن أبدو "قويًا" دائمًا.

في انفرادي،
أستطيع أن أتحدث إلى نفسي، بصوت واضح،
أسألها:
"كيف حالك حقًا؟"
"هل أنت بخير؟ أم أنك فقط تحاول أن تكون كذلك؟"

وفي كل مرة أسمع ذلك السؤال،
أدرك كم نحن بحاجة لهذا النوع من العزلة...
لا لننزل عن الحياة، بل لنعود إليها وقد عرفنا أنفسنا.

الانفراد ليس هروبًا،
بل عودة...
عودة إلى الذات الأولى، التي لم تفسدها المقارنات، ولا التوقعات، ولا نظرات الناس.

أظن أنني أدركت الفرق الآن:
من يشعر بالوحدة، يفتقد الآخرين...
أما من ينفرد، فهو يفتقد نفسه... ويحاول أن يجدها

"ليس كل من جلس وحيدًا يشعر بالوحدة... بعضهم يعود إلى ذاته كما
يعود الغريب إلى بيته بعد غياب"

"الضجيج من حولنا لا يعني أننا بخير... أحيانًا نحتاج إلى الصمت
لنسمع صوت أرواحنا"

رسائل لم تُرسل ...

في بعض الأحيان، تمر الأيام ثقيلة، ونحن نعيش في دوامة من الأفكار والمشاعر التي نكتُمها داخل أنفسنا. هناك لحظات، حين نكون بحاجة إلى التحدث، لكتابة رسالة، لإخبار شخص ما بما نشعر به، لكننا نتردد. أحياناً، نكتب الرسائل ثم نقف، نحقق في الكلمات على الشاشة، نشعر بثقل ما كُتِب، لكن لا نجد في أنفسنا القدرة على الضغط على زر "إرسال".

كنت في يوم ما في هذه الحالة. جلست أمام الهاتف، أفكر في رسالة قد تكون الأخيرة، أو ربما بداية لشيء جديد. كان القلب مثقلاً بالكلمات التي كنت أرغب في قولها، لكنه كان أيضاً خائفاً من التأثير الذي قد تتركه هذه الرسالة. كان هناك الكثير من الأشياء التي لم أتحدث عنها، الكثير من المشاعر التي بقيت داخل صدري. تذكرت الأيام التي مرّت، واللحظات التي كانت مليئة بالحديث، ثم فجأة انقطعت. توقفت الأمور. وجدت نفسي أبحث عن كلمات لم أستطع أن أجدها.

كتبت الرسالة، أو بالأحرى بدأت في كتابتها، كلمات كانت تخرج من أعماق قلبي، لكنها كانت تحمل ثِقلاً أكبر مما توقعت. بدأت أكتب، ثم توقفت. فكرت في الردّ المحتمل، في إذا كان الشخص الآخر سيشعر بما أشعر به أو إذا كان سيبقى بعيداً كما كان دائماً. بدأت أتساءل إذا كان الوقت قد مرّ، إذا كانت هذه الرسالة ستحل أي شيء أم أنها ستزيد الأمور تعقيداً.

مرّت لحظات، ثم قررت أنني لا أستطيع إرسالها. لم يكن الأمر متعلقاً بالمحتوى أو بالكلمات، بل كان شيئاً أعمق من ذلك. كان خوفي من أن أضع نفسي في موقف ضعيف، من أن أكون في حاجة لشيء قد لا أحصل عليه. الخوف من الرد الذي قد يأتي بارداً أو غير مكترث، الخوف من أن الرسالة لا تُرسل إلا لتبقى معلقة في الهواء، دون إجابة.

وهكذا، بقيت الرسالة غير مرسلة، كما لو أنها كانت في النهاية مجرد تذكير لي بما شعرت به في تلك اللحظة. ربما كانت هذه الرسائل التي لا نرسلها هي الطريق الوحيد الذي نملك فيه القدرة على السيطرة على مشاعرنا، أن نختار متى نريد أن

نفتح الباب أو نغلقه. في بعض الأحيان، رسائلنا التي لا تُرسل هي التي تيقننا أحياء، تعلمنا كيف نتعامل مع مشاعرنا، وكيف نقبل حقيقة أننا لا نملك دائماً القدرة على تغيير الأشياء.

في النهاية، الرسالة التي لم تُرسل كانت جزءاً من تلك اللحظة التي تعلمت فيها أن ليس كل شيء يجب أن يقال. أحياناً، الصمت هو الإجابة، وأحياناً يكون السكوت هو الخيار الأكثر نضجاً.

"كتبتها وأنتظر... لكن ترددت. في النهاية، الرسائل التي لا تُرسل هي التي تعلمنا كيف نتحمل غياب الردود، وكيف نتعلم من صمت الآخرين"

"الصمت هو الرسالة التي لا نحتاج إلى إرسالها، وفي أحيان كثيرة هو الخيار الأكثر حكمة"

"في بعض الأحيان، تكون الرسالة غير المرسلة هي الإجابة الوحيدة التي نملكها، لأنها تعلمنا أن الحياة لا تدور حول إقناع الآخرين، بل حول فهمنا لأنفسنا"

"ربما كانت الرسائل التي لم تُرسل هي التي تحمل أعظم معاني، لأنها تختصر ما لا يمكن قوله بالكلمات، وتبقى خالدة في ذاكرتنا"

"في كل رسالة لم تُرسل، هناك جزء منا لا يريد أن يُجرح أو يخسر، ولكن في صمته نجد القوة"

ما بعد الغياب ...

لم يخبرني أحد أن الغياب لا يأتي دفعةً واحدة،
بل يتسرب خلسة من بين التفاصيل،
من ضحكة لم تعد بنفس البريق،
من صوت خافت تغير دون أن ألاحظ،
من نظرة مرت سريعا، وكأنها لا تجرؤ على التعلق بي مجدداً.

في البداية، ظننت أن كل شيء سيكون بخير.
قلت لنفسى: هو وقتٌ ويعود
لكن الوقت طال، والباب ظل مغلقاً،
وصوته الذي كنت أسمعه بيني وبين نفسي، صمت فجأة.

ما بعد الغياب... هو بداية قصة لا تشبه أي شيء قبلها!
هو أن تستيقظ صباحاً، فترى وجهك في المرأة وتقول:
"أنا ما زلت هنا... لكنني لست كما كنت"

أتذكر اليوم الذي مررت فيه من أمام المكان الذي اعتدنا الجلوس فيه.
كل شيء كان كما هو: الكرسي، الضوء، الطاولة، حتى الهواء بدا مألوفاً.
كل شيء... إلا أنت
وقفت هناك طويلاً، وكأنني أبحث عنك في الفراغ،
ثم همست داخلي:
"إن لم تكن لي منذ البداية، فلماذا منحتني كل هذا الأمل؟"

أذكر أيضاً حين التقطت كتاباً من الرف، فوجدت إهداءك بخط يدك:
"اقرأ هذا حين تشاق... سأكون هناك"
ضحكت حينها... لكنني بكيت بعدها طويلاً

لا أحد يعلمك كيف تمضي في الحياة بعد الفقد.
لا أحد يقول لك أن الأماكن ستخونك، وأن الأغاني ستبتكيك،
وأن الذكريات ستتهجم عليك حين تظن أنك بخير.

لكنني تعلّمت... بصعوبة، لكنني تعلّمت.

تعلّمت أن الألم لا يرحل، بل يهدأ.
أن الذاكرة لا تموت، لكنها تتعب.
وأن القلب، مهما تكسر، يملك قدرة خفية على النبض من جديد.

تعلّمت أن أضحك دون أن أشعر بالذنب،
وأن أستمتع بلحظة، حتى وإن كنت وحدي.
تعلّمت أن لا أنتظر من لا يعود،
وأن أكتب... فقط لأتذكّر أنني نجوت!

"لم يكن الغياب لحظة، بل كان أيامًا تمشي وأنا أنقص معها"

"أنا لا أنسى... لكنني صرت أعيش، رغم أن كل شيء فيّ يتذكّر"

"الذين رحلوا لا يؤذوننا بغيابهم فقط... بل بما تركوه فينا دون أن
يأخذوه معهم"

اكتشاف الذات: رحلة التفاؤل والتجدد... ✨

في بداية الطريق، كان كل شيء يبدو ضبابيًا، وكل ما حولي كان يعكس صورة ضبابية لما أريد أن أكون. كنت أركض وراء الحياة وكأنني أسابق الزمن، أبحث عن النجاح والأهداف التي يراها الناس مهمة، ولكنني كنت أفقد شيئًا أساسيًا: أنا. كان لدي شعور دائم بأنني أفقد شيئًا داخليًا، شيئًا لا يمكن أن تعوضه كل الأهداف التي حققتها.

لكن، مع مرور الوقت، تعلمت أن **اكتشاف الذات** ليس مجرد الوصول إلى مكان ما، بل هو أن تكتشف من أنت، وأنت أكثر بكثير من مجرد طموحات وأحلام الآخرين. لقد بدأت أفهم أن الطريق الحقيقي يبدأ عندما نتوقف للحظة، نغمض أعيننا، ونستمع لصوتنا الداخلي. نعم، الصوت الذي طالما تجاهلته، ذلك الصوت الذي يريدني أن أكون نفسي بكل قوتي.

كان الوقت مليئًا بالأسئلة، ولكنني بدأت أرى الحياة بعيون مختلفة. بدأت أكتشف أن القوة ليست في أن تكون مثاليًا، بل في أن تكون حقيقيًا مع نفسك. في هذه الرحلة، تعلمت أنه من خلال كل تحدٍ، يوجد درس، ومن خلال كل ألم، توجد فرصة للنمو. لم أعد أخشى الفشل، بل أصبح هو جزءًا من قصتي، جزءًا من تطوري الشخصي.

وأنا اليوم، أستطيع أن أقول: **اكتشاف الذات** هو رحلة تبدأ من الداخل، ونحن جميعًا نستحق أن نعيش حياة مليئة بالسلام الداخلي والحرية الحقيقية. كل خطوة نخطوها نحو أنفسنا، هي خطوة نحو حياة مليئة بالأمل والتفاؤل. إن الطريق ليس سهلًا، لكنه مليء بالفرص التي تنتظرنا. وكل يوم هو فرصة جديدة لاكتشاف من نحن وكيف يمكننا أن نكون أفضل، اليوم وأكثر إشراقًا غدًا.

الحياة أمامي، وأنا اليوم مستعد أن أعيشها بكل قوتي، بأحلامي وأهدافي، وكل ما أحтаجه هو أن أكون صادقًا مع نفسي وأتبع قلبي الذي يقودني دائمًا نحو الأفضل.

التسامح... لأنني أستحق أن أعيش بسلام... ❁

أحياناً أجلس مع نفسي، وأتذكر كل تلك المواقف التي مررت بها...
أتذكر تلك الكلمة التي قيلت لي بلا رحمة، النظرة التي حملت احتقاراً، التصرف الذي كسر شيئاً بداخلي ولم يُصلح حتى الآن.
أتذكر وجهي حين عدت إلى البيت وأنا أبتسم خارجياً، لكن داخلي ممتلئ بالأسى.
أتذكر كيف شعرت بالخيانة حين خذلني شخص اعتبرته قريباً، وكيف حاولت أن أبدو قوياً أمام الجميع... بينما أنا من الداخل كنت هشاً جداً.

في تلك الأيام، كنت أعتقد أن الغضب هو الشيء الوحيد الذي يبقيني حيّاً، وأن التمسك بالحق سيمنعني من السقوط.
كنت أقول لنفسي: "لا تسامح، لأنك إن سامحت ستكون ضعيفاً... وستُكسر من جديد"

لكنني لم أكن أعلم أنني، بالحققة، كنت أكسر نفسي كل يوم. كل لحظة كنت أعيد فيها الألم، كنت أنا الخاسر الوحيد.

أتذكر ليلة معينة... كنت جالساً وحدي، والهدوء يلف المكان، لكن في داخلي عاصفة.
ذكريات تتسلل، قلوب تغيّرت، أصدقاء غادروا، وكلمات جارحة ما زالت ترن في أذني.
حينها فكّرت، وسألت نفسي:
"هل حقاً أريد أن أعيش في هذه الدائرة؟ أن أبقى كل هذه الجراح مفتوحة فقط لأنني خائف أن أغلقها؟"

من هنا بدأت الرحلة...
رحلة نحو التسامح، لا من أجلهم... بل من أجلي أنا.
أردت أن أرتاح، أن أعيش بحرية، أن أتحرّك في حياتي دون أن يقيدني شيء.
فهمت أن التسامح ليس ضعفاً، بل هو أعلى درجات القوة.
أن تسامح يعني أن تضع السيف أرضاً، لا لأنك انهزمت، بل لأنك اخترت أن تحمي

قلبك من الحرب!
أن تسامح يعني أن تُغلق بابًا كان مفتوحًا للألم طويلًا، وتقول: "يكفي"

أصبح التسامح بالنسبة لي قرارًا يوميًا، كل صباح، أقول فيه لنفسِي:
"أنا لا أنسى، لكنني أختار أن لا أعاقب نفسي على أشياء انتهت"
أذكر نفسي أن كل مرة أسامح فيها، أُعطي لروحي فرصة للتنفس، ولقلبي أن ينبض بحرية.

وللأمانة... ما زالت هناك لحظات أضعف فيها، أعود فيها للذكريات، أشعر بالحزن لكن الفرق الآن أنني لم أعد أسكن هناك، لا أقيم في تلك اللحظات، فقط أُمَرُّ بها وأتابع طريقي.

أدركت أنني كلما سامحت، كنت أزيل حجرًا من طريقي.
وكما تركت مشاعر الغضب، كنت أفتح بابًا للنور، للسلام، للحياة الحقيقية.

التسامح ليس نسيانًا، بل شجاعة.
هو أن تتذكر دون أن تتألم.
هو أن تبقى إنسانًا رغم كل ما حدث لك.
أن تقول لنفسك: "أنا أستحق أن أكون بخير"

"لم أسامح لأنهم يستحقون، بل لأن قلبي يستحق أن يعيش خفيًا، بلا قيود، بلا سموم قديمة"

"التسامح لا يُغيّر الماضي، لكنه يُنقذ ما تبقى مني... يُعيد لي نفسي التي أضعتها بين الجراح"

رحمة الله في نفسي... ﴿١﴾

كانت لحظة صامتة، لا صوت فيها إلا أنفاسي المتقطعة، ولا شعور فيها إلا ذلك الثقل الجاثم على صدري. شعرت أنني على وشك الانهيار، لا شيء يمسك بي، لا يد تمتد، لا كلمة تطمئن، ولا قلب يُنصت. كنت وحدي، بكل ما تحمله الكلمة من معنى. لكن في خضم هذا السكون الثقيل، وفي قلب ذلك الضعف، تسَلَّت إلى داخلي طمأنينة لم أفهمها في البداية. كأن شيئاً ما يرتّب على قلبي دون أن أراه... شعور خفيف، لكنه عميق، لكنه يقول لي: "ما دمت تتنفس فإن الله لم يتركك"

تأملت نفسي... كيف مررت بكل تلك الليالي، كيف بكيت بصمتٍ دون أن يراني أحد، وكيف كنت أبتسم في وجه الجميع بينما أنا أرمم شظاياي من الداخل. كنت أظنني ضعيفاً، منهزماً، على حافة الانتهاء. لكنني الآن أدرك أن تلك اللحظات لم تكن إلا مساحة للرحمة... مساحة لله أن يضع فيها لطفه، ويزرع في صدري شيئاً يشبه النجاة.

رحمة الله لم تكن صوتاً خارجياً، ولم تأت على هيئة معجزة تغيّر كل شيء فجأة... بل كانت شيئاً داخلياً، هادئاً، يقويني حين أعجز، ويُشعرنِي أن البكاء ليس ضعفاً، بل دعاء صامت يسمعه الله وحده.

أذكر مرة، كنت على سريري، أتقلب بين التفكير والندم، بين الخوف من الغد، والحزن على ما فات... وضعت يدي على صدري وقلت بصوت خافت: "يارب، أنا مش قوي... بس لا تتركني". وفي تلك الليلة، نمت لأول مرة دون أن أبكي. لا لأن الحزن رحل، بل لأنني شعرت أن الله كان معي فيه.

الآن، حين تسألني كيف ما زلتُ واقفاً رغم كل ما مررت به، أجيبك بصوت مطمئن "رحمة الله تسندني، حتى حين لا أشعر بها مباشرة". هي تلك اللحظة التي تهّم بالسقوط، فتجد في داخلك شيئاً يوقفك، لا تفسير له سوى أنه من الله. هو ذلك السلام الذي لا يشرحه كلام، ولا يُشبه شيئاً مما على الأرض.

رحمة الله... كانت بداخلي حين لم أجد أحدًا.
وهي التي جعلتني أستمِر، لا لأن الطريق سهل، بل لأن الله كان يمشي معي بصمت!

"كنت على وشك الانهيار... ثم شعرت أن الله يربّت على قلبي دون أن أراه"

"في كل مرة خذلتني الدنيا، كنتُ أجد الله يُمسكني من أعماقي"

"لم أسر وحدي قط... كان الله إلى جانبي منذ البداية، لكنني كنت منشغلًا بالحزن فلم أراه"

"كان في داخلي شيءٌ مكسور... لكن الله نفخ فيه من لطفه، فقام"

"لم أكن قويًّا، لكنني كنتُ محاطًا برحمةٍ لا تُفسّر"

سلام بعد المعركة

لم أكن أدرك في البداية أنني في معركة.
كنت أظن أن ما أمرّ به مجرد تعب، مجرد إرهاق مؤقت سيمرّ مع الوقت.
لكنّ الأيام مرّت، ولم يتغيّر شيء...
كل شيء فيّ كان يصرخ، وأنا من الخارج... صامت.

أتعلم متى عرفت أنني في حرب؟
عندما بدأت أجاهل الضحك، وأتجاهل الأسئلة، وأختلق الأعذار لأبقى وحدي.
كنت أعود إلى غرفتي، أغلق الباب، وأستلقي على ظهري كمن نجا للثو من ساحة قتال،
لكن دون دماء... فقط تعب داخلي لا يرى.

كم مرة نظرت إلى المرأة ولم أعرف من هذا؟
أحرك شفاهي بابتسامة، أفتح عيني بقوة، وأقول:
"يلا، شدّ حالك، عادي، بتمرّ"
لكنها ما كانت تمرّ.

في أحد الأيام، بقيت في غرفتي طوال النهار، الستائر مغلقة، الهاتف على الصامت.
لم أكن نائمًا ولا مستيقظًا، فقط أهدق في السقف.
أتذكر أنني كتبت رسالة طويلة في دفتر قديم،
بدأتها بـ: "إلى الشخص الذي خسر نفسه ولا زال يبحث عنها"

كنت أكتب عني وكأنني لا أعرفني.
كتبت عن كم مرّة قلت "أنا بخير" فقط لأنني تعبت من شرح ما لا يفهم.
عن اللحظات التي تظاهرت فيها بالقوة بينما كنت أنكسر داخلياً،
عن الناس الذين مرّوا دون أن يشعروا بأنني كنت بحاجة إلى مجرد "أنا معك"

تعلم ماذا كنت أفعل أحياناً؟
أفتح معرض صوري وأتصفح وجهي في صور قديمة،
أحاول أن أرى الفرق بين "أنا" القديم و"أنا" الآن.
أقارن ضحكتي، نظرتي، حتى طريقة وقوفي...
وأسأل نفسي: متى تغيرت؟ ومتى أصبحت بهذا الثقيل؟

ثم أتى ذاك اليوم.
لم يكن مميزاً... فقط كنت وحدي في الحديقة، الجو بارد قليلاً، والشمس تغيب ببطء.
جلست على الدرج، أرتشف شاياً صنعتُه بنفسِي، وأحمل دفنري القديم.
قرأت الرسالة التي كتبَها منذ أشهر.
وغرقت في صمت.

شيء ما في داخلي تغيرَ تلك اللحظة.
لم أشفَ تماماً، ولم أنسَ، لكنني شعرت لأول مرة أنني لا أريد أن أرهق نفسي أكثر.
قلت: "أنا تعب من الحرب. ولو لم أنتصر، فأنا لا أستحق أن أموت فيها"
وقررت أتصالح مع كل ما في... الألم، الندم، الخوف، وحتى الصمت.

منذ ذلك اليوم، بدأت أتصالح مع نفسي.
أخرج للمشي وحدي وأتكلم مع نفسي بصوت مسموع أحياناً،
أبكي حين أحتاج، دون خجل،
أكتب كثيراً، حتى لو لم يقرأ أحد ما أكتب،
أسمع الأغاني التي تفتح جراحاً قديمة، ثم أبتسم... لأنني ما زلت هنا.

"السلام بعد المعركة" ليس ضوءاً فجائياً، ولا قراراً تأخذه ليلة وتنسى كل شيء
بل هو سلسلة من اللحظات الصغيرة :

عندما تغفر لنفسك
عندما تضحك من قلبك دون أن تخاف أن تعود الحزن،
عندما تقبل أنك لست مثاليًا، لكنك تحاول.

أنا الآن، لا أقول إنني سعيد طوال الوقت،
لكنني لم أعد عدوًا لنفسي
وهذا أعظم ما تعلمته من تلك المعركة!

"كنت أظن أنني بحاجة لأحدهم ينقذني، حتى اكتشفت أنني الوحيد
القادر على جمع شتات قلبي"

"هناك نوع من الانتصار... لا يراه أحد، لكنه يحدث داخلك، بصمت،
حين تختار أن تعود لنفسك بعد أن هجرتها طويلًا"

"في آخر المعركة، لم أكن بحاجة إلى النصر... بل كنت بحاجة إلى
هدوء يشبهني"

"لقد عدتُ!، لا كما كنت، بل كما أردت أن أكون منذ البداية...
شخصًا اختار نفسه أخيرًا"

على حافة التعب... نور

أحياناً، نشعر وكأن العالم بأسره قد انقلب على رؤوسنا، كأن كل شيء يتأمر ليضعفنا، كأن الصمت من حولنا يصرخ في وجوهنا دون رحمة لكن رغم ذلك كله، يبقى هناك شيء لا يُقهر... شيء نقي، لا يرى بالعين، بل يُحس بالقلب.

إنه الضوء الذي لا ينطفئ!

لا يهم كم مرة انكسرت، ولا كم مرة سقطت. المهم هو أنك لم تختفِ. لا تزال هنا، تتنفس، تقاوم، وتفكر، وهذا وحده انتصار. كل لحظة نجوت فيها من الانهيار، كل خطوة صغيرة تقدّمت بها رغم ثقل الحياة... تلك بطولات لا تُكتب في كتب التاريخ، لكنها محفورة في روحك.

لست بحاجة إلى تصفيق، ولا إلى أن يفهمك الجميع. يكفي أن تفهم نفسك. أن تمنحها قليلاً من الصبر، قليلاً من الرحمة، وكثيراً من الأمل.

تذكّر: لا شيء يبقى على حاله، لا الحزن، ولا العزلة، ولا حتى هذه اللحظة الثقيلة التي تشعر بها الآن. كل ما تمر به مؤقت، أما أنت... فأنت الحقيقة المستمرة.

فامش بخطواتك كما هي، خفيفة كانت أم متعثرة، المهم أن تمشي. وإن تعبت، اجلس، لا بأس. لكن لا تتخلّ عن النور الذي يسكنك.

"قد تسقط ألف مرة، لكنك حين تقرر أن تقوم، ولو وحدك، فأنت أقوى من العالم بأسره!"

الخطوة التالية نحو الأمل... 🕊

مع مرور الأيام، أدركت أن الحياة ليست مجرد معركة تنتهي بمجرد أن نتخلى عن أعبائها، بل هي رحلة مستمرة من التحولات والنمو. اليوم، وبعد كل ما مررت به، أصبح لدي فهم جديد لما يعنيه السلام الداخلي. كان الأمر كما لو أنني كنت دائماً أبحث عن الخلاص في الخارج، بينما كان الخلاص يكمن في قراراتي الداخلية.

كانت أيام كثيرة تمر ثقيلة، وأذكر كيف كنت أقول لنفسي في كل مرة أشعر فيها بالإحباط: "الخوف من الفشل هو ما يعيقك، لكن عندما تواجهه وتختبره، ستدرك أنه ليس سوى خطوة نحو النجاح." لكن اليوم، مع مرور الوقت، اكتشفت أنني لست مجرد محارب في هذه الحياة، بل صانع السلام الداخلي الذي يحتاجه قلبي.

كم مرة كنت أتوقف عند رسائل قد كتبتها، لكنني لم أرسلها؟ كانت كلماتي مليئة بالاحتياج، والأسئلة التي لم أكن أريد أن أواجهها، لكنني كنت أكتبها لأنني في ذلك الوقت كنت بحاجة أن أعبر عما في داخلي. أذكر اللحظات التي كنت أبحث فيها عن الكلمات التي تعبر عن مشاعري، وعندما كتبتها، شعرت بشيء غير مريح في قلبي. كنت أكتبها بشدة، لكن لا أستطيع إرسالها، وكنت أشعر كأنني أضيع فرصة للتواصل مع الآخرين. لكن الآن، فهمت أن تلك الرسائل غير المرسلة كانت جزءاً من تطوري الشخصي، كانت هي الخطوة الأولى نحو التمسك بنفسي وقبول واقعي.

ثم جاء اليوم الذي قررت فيه أنني لن أستمّر في البقاء في هذا الظلام. كان يوماً عادياً، ربما أكثر من عادي، لكنه كان حاسماً. تذكرت كل ما مررت به، من كل الصعاب والتحديات التي واجهتها، وجدت نفسي أبتسم رغم كل شيء. نعم، كنت في قمة الضعف في لحظات كثيرة، ولكنني أيضاً كنت أعلم أن في الضعف هناك قوة غير مرئية تتشكل.

كنت أخشى أن أكون وحيداً، كنت أخشى أن أواجه هذا العالم وأحمل على كتفي تلك الجروح التي لم تلتئم بعد، لكنني بدأت أرى في تلك الجروح جزءاً من قوتي. اليوم، لا أرى تلك اللحظات الصعبة على أنها عبء، بل أراها كجزء من الهوية التي تميزني عن الآخرين. كنت أقول دائماً: "أنا ما زلت هنا، لكنني لست كما كنت"،

وكان هذا القول هو الذي جعلني أستمّر. لقد تغيّرت، وأنا اليوم أفضل بكثير من السابق.

تذكرت عندما كنت أذهب إلى مكاننا المعتاد، حيث كنت ألتقي بأصدقائي. كل شيء كان كما هو: الكراسي، الطاولة، وحتى الهواء الذي كان يملأ المكان. لكنك لم تكن هناك، كانت هذه اللحظات بمثابة تذكير لي بأن الحياة تتغير، وأن الناس أيضًا يتغيرون. كنت أظن أنني لو عدت إلى تلك الأماكن سيعود كل شيء كما كان، ولكنني اكتشفت أن التغيير لا يمكن التراجع عنه.

ثم جاء اليوم الذي قررت فيه أن أكون أكثر صراحة مع نفسي. كنت أقول دائمًا: "أنت هنا، والآن. لا تتقدم على الماضي، بل تعلم منه" لم أعد أسمح لتلك الأفكار السلبية بأن تسيطر على حياتي. كانت الرسائل التي لم أرسلها مجرد فترات صمت كنت بحاجة لها لأعيد ترتيب أولوياتي. ومع مرور الوقت، أدركت أنني لا أحتاج إلى إرضاء الجميع، وأنني بحاجة إلى التوفيق بين ما يرضيني وما يعزز من قوتي الداخلية.

اليوم، أشعر أنني على الطريق الصحيح. ليست الحياة دائمًا سهلة، لكنها جميلة بقدر ما نراها نحن. وقد تعلمت أنني لا أحتاج إلى الكمال، بل إلى السلام الداخلي. عندما توقفت عن مقارنة نفسي بالآخرين، أدركت أنني أمتلك كل شيء أحتاجه لأعيش حياة مليئة بالسلام الداخلي. لقد قبلت حقيقة أن الحياة ليست مثالية، ولكنني أيضًا أدركت أن الجمال يكمن في القبول والنمو المستمر.

"سلامي الآن هو أنني أعلم أنني أستطيع أن أكون أفضل يومًا بعد يوم،
أنني أستطيع أن أتعلم من كل تجربة وأمضي قدمًا نحو مستقبل مليء
بالأمل والفرص"

على ظلال الوتر

أغاني كُنّا نحبها...!

في لحظات معينة، تكون الأغاني أكثر من مجرد موسيقى، هي جزء من الذكريات التي لا يمكن أن تموت، مهما مرّ الزمن. كل واحدة منها تحمل في طياتها قصة، لحظة، أو شعور لم نكن قادرين على التعبير عنه بالكلمات. تذكرني تلك الأغاني بشيء كان موجوداً في حياتي، ومع مرور الوقت أصبحت جزءاً من نفسي، كأنها تاريخ خاص بي.

كنت في سن صغيرة، والطفولة تبتسم لي كلما سمعت تلك الأغاني. كان صوت المغني وكأنه يلامس قلبي مباشرة. في كل مرة كانت الأغنية تُعزف، كانت تملأني بشعور غريب. كانت تذكرني بالأيام التي عشتها، بأشخاص أحببتهم، بمواقف عشناها، وباللحظات التي كنت أعتقد أنها ستستمر إلى الأبد. كان الصوت نفسه يرافقنا في كل مكان: في السيارة، في البيت، في الحديقة. في كل مكان كانت الأغنية تملأ أجواءه، وكأنها جزء من الروتين اليومي.

لكن الحياة ليست دائماً على نفس الوتيرة، والذكريات التي كانت ملونة بالأمل بدأ يعتربها الحزن شيئاً فشيئاً. أتذكر أغاني الحب التي كنت أستمع إليها، وهي تُشعل في داخلي مشاعر من نوع آخر. مشاعر كنت أتمنى أن أكون قادراً على التعبير عنها، لكنني لم أكن أملك الشجاعة لذلك. الأغاني كانت أكثر صدقاً من أي كلمات يمكن أن أنطق بها. كانت تترجم أحاسيسي بشكل دقيق، وكنت أجد في كلماتها ما يُهدئ قلبي، ويسحبني إلى لحظات كانت تحوي كل شيء جميل.

لكن بعد فترة، ومع مرور الأيام، تغيرت تلك الأغاني. أسمع الموسيقى بطريقة مختلفة. تغيرت الأذواق، وبدأت الأغاني التي كنت أسمعها سابقاً تبدو وكأنها ماضي بعيد. ورغم ذلك، عندما أسمع أحدها الآن، تملأني الدموع. لا أعلم ما الذي يجعلنا نحفظ بكل تلك الأغاني في ذاكرتنا. هل هو حينا لها؟ أم أنها كانت لحظات هربنا فيها من واقعنا ووجدنا فيها عزاء؟ ربما كل هذا معاً.

لكن في نفس الوقت، هناك نوع من الفرح المختلط بالحزن. فرح لأن تلك الأغاني كانت جزءًا من حياتنا، جزءًا من لحظات لم نكن نريد أن نفقدها. وحزن لأننا نعلم أنها لن تعود. الأغاني التي كنا نحبها كانت تضع كل مشاعرنا في مكان واحد. وكلما استمعنا إليها، كأننا نعود إلى نفس اللحظة التي كانت فيها تلك الأغاني تملأ حياتنا.

ورغم كل ما مررت به، فإن تلك الأغاني تبقى في داخلي، هي الشاهد على فترة كانت مليئة بالبراءة، بالأمل، وبالحب الذي كان يبدو أبدى. فحتى وإن تغيرت الأيام وتبدلت الوجوه، تبقى تلك الأغاني مخلدة في القلب، لأن لها مكانًا خاصًا لن يشغله أحد.

"كنا نغني دون أن نحفظ الكلمات، نضحك إذا أخطأنا، ونكمل كما لو أنّ العالم يستمع إلينا وحدنا"

"كنتُ أظنّ أنّ الأغنية التي أحبّها قد كُتبت لي، وحدي، ولا أحد في الكون يعرفها سواي"

"كانت الأغنية تُفرحني، لا لأنها جميلة، بل لأنّ من أحبّهم كانوا يغنونها معي"

"بعض الأغاني تشبهنا حين كنّا صغارًا... صادقين، نقيين، لا نُجيد التمثيل"

"ثمّة أغانٍ لا نسمعها فقط... بل نعود معها إلى من كنّا، وإلى من تمنّينا أن نَظَلَّ"

ما الذي يجعلنا نبتسم رغم كل شيء؟... ❦

حديث نفس لشخص عرف من رحل، لكن لم ينسَ الطريق الذي مشوا فيه معًا.

ما الذي يجعلنا نبتسم رغم كل شيء؟
رغم الغياب، رغم التعب، رغم أن بعض الأبواب أُغْلِقَتْ في وجهنا ونحن لا زلنا نمدّ
أيدينا؟

سؤال بسيط في شكله،
لكنه عميق في صداه...
كانك تسأل القلب: "كيف تنبض رغم كسرِكَ؟"
أو تسأل الذاكرة: "لماذا لا تُطْفِئ تلك اللحظة؟"

بالنسبة لي...
لم تكن الابتسامة دومًا علامة راحة.
أحيانًا، كانت فعل مقاومة.
أحيانًا، كانت طبطبة من الداخل، لا يراها أحد.

أبتسم كلما مرّت بخاطري ضحكة في وقتٍ ما،
ضحكة صدرت من قلوب كانت تشبهني،
أشخاص مشينا معًا دون حاجة للكلام،
كان الصمت بيننا مريحًا، والوجود بسيطًا،
كاننا نعرف بعضنا منذ البدء، حتى لو لم نقل ذلك.

أبتسم حين أتذكّر لحظة كنا نضحك فيها من أمر لا يستحق،
لكنه في تلك اللحظة، كان كل شيء.
أبتسم حين أتذكّر من وقف بجانبني بصمت،
في وقتٍ لم أكن فيه بحاجة إلى كلمات،
بل فقط إلى نظرة تقول أنا هنا.

هؤلاء... لم أسمّهم يوماً،
لكنهم عاشوا في قلبي كأنهم بيت.
غادروا، نعم.
لكن ليس تمامًا.
بقي شيءٌ منهم في ملامحي، في لهجتي، في طريقة ضحكتي.

أحياناً، أضحك وحدي...
فأتذكّر كيف كانوا يقولون لي: "ما هذا الضحك الغريب؟"
وأبتسم أكثر، كأنني أهديهم هذه اللحظة.

الغياب لا يكسرني كما كان يفعل سابقاً،
لأنني أدركت أن من يترك أثراً صادقاً،
لا يغيب حقاً...
هو فقط لا يعود بنفس الشكل.

ما يجعلني أبتسم؟
أنني أحببت بصدق.
أنني عشت أياماً كان فيها القلب خفيفاً،
والعالم لا يبدو بهذا الثقل.

ما يجعلني أبتسم؟
أنني، رغم الخسارة... ما زلت ممتناً.

نعم، تغيرت الوجوه... وتبدلت الأماكن،
لكن الضحكات القديمة، لها نغمة خاصة،
تُعيدني إلى نفسي، وتقول لي بهدوء:
"كنت بخير ذات يوم... وستكون كذلك من جديد"

ظلال الحياة... ونظرة لم تكتمل... ﴿١﴾

في أوقات كثيرة...
أسأل نفسي هذا السؤال، بصوت لا يسمعه أحد:
هل أعيش الحياة، أم أنني مجرد ممرٍ لها؟
هل أتحرك فيها بإرادتي، أم أنها تتحرك في داخلي، وتتركني خلفها متعباً،
دون أن أدرك أنني لم أكن أنا من يقود؟

لا أدري متى بدأت أفكر بهذا الشكل.
ربما في لحظة هدوء تام، حين توقفت الموسيقى، وخفت الأصوات، وصار كل شيء
من حولي صامتاً...
إلا أفكاري.

أذكر مرة...
كنت واقفاً عند النافذة، أنظر إلى السماء، وكانت الغيوم تمرّ ببطء...
كأنها تعرف إلى أين تذهب.
وأنا؟
كنت ثابتاً، كأنني أنا الغيم العالق، لا يعرف إن كان في طريقه إلى الأمام، أم أنه فقط
يطفو.

ثم...
تسللت إلى ذاكرتي نظرة، لا تغيب.

وجه لا يشبه سواه.
كأن اكتمال البدر قرر أن يجرب هيئة البشر.
بشرة بيضاء، ليس فيها برودة، بل دفء غامض كضوء القمر حين يسقط على
صفحة ماء.
شفتان ساكنتان، لا تقولان الكثير، لكن خلفهما حكايات.
وجنتان ناعمتان كندى الفجر،
وعينان...

إحداهما عسلية، كأشعة شمس دافئة في موسم خريف،
والأخرى رمادية، كضوء القمر في قلب عتمة.

لم يكن بيننا الكثير من الحديث،
لكنّ عينيها كانتا تسألانني شيئاً...
شيئاً يشبه:

"هل نعيش حقاً؟ أم أننا نُمثّل الحياة دون أن نؤمن بها؟"

ورحلت.

لكن السؤال بقي.

بقي في... يسكنني، يوقظني، يهمس لي كلما اقتربت من النسيان.

هناك لحظات أظنّني فيها حيّ...

حين أستلقي على الأرض، وأشعر بحرارة الشمس على وجهي،
حين تمسح الريح شعر رأسي بلطف وكأنها تقول: "ما زلت هنا"
حين أغمض عيني، وأسمع صوت قلبي ينبض دون أن أطلب منه ذلك...
في هذه اللحظات فقط،
أشعر أنني أنا الذي أعيش الحياة، لا العكس.

لكن، هناك أيام...

تمرّ وأنا لا أشعر بها،

أكل، أتكلّم، أضحك، أكتب،

لكنني لا أتذكّر كيف بدأت، ولا ماذا شعرت، ولا من التقيت.

هل هذه الأيام تُحسب؟

هل هي مني؟

أم أنني كنت مجرد ضيف غريب في يوم لا يشبهني؟

وأحياناً...

أسأل سؤالاً يبدو بسيطاً، لكنه يحمل كلّ العمق:

"هل النسيم يعرف من نحن؟"

هل يعرف ما نخفيه خلف ابتساماتنا؟
هل يُدرك أننا حين نمشي صامتين، لا نكون ساكنين، بل مثقلين؟
أشعر أحياناً، أن النسيم حين يمرّ بي،
لا يُنعشني فحسب، بل يقرأني...
يقرأ التعب خلف كتفي، والأمنية المختبئة في صدري،
يقرأ وجهي كما هو، بلا رتوش، بلا مجاملة.

إنه النسيم... لا يسأل، لا يحكم،
لكنه يمرّ وكأنّه يعرف.
وحين يُداعب وجهي، أشعر أنه يُرَبِّت عليّ كصديق قديم.
يقول لي بلغة لا تُقال:
"أعلم، وأفهم، وسأمضي... ولكنك لست وحدك"

أحياناً أفكّر...
ربما الحياة ليست شيئاً نملكه، بل كائنٌ نسمح له أن يسكننا.
وربما ليست سؤالاً نحيب عنه، بل حالة نمرّ بها، نغوص فيها، ثم نخرج منها بشكّلٍ
لا يشبه ما كنا عليه.

وأحياناً...
أخشى أن أنتهي دون أن أعيش يوماً كاملاً.
يوماً أستيقظ فيه لأنني أريد،
لا لأن المنبّه قرّر.
أمشي فيه لأنني أبحث، لا لأن الطريق نفسه كل يوم.
أشعر فيه بكل شيء،
دون أن أخفيه خلف جدار من "كل شيء بخير"

الحياة، في كثير من الأحيان، تشبه ظلاً...
يمشي معنا حين لا ننتبه له، ويختفي حين نبدأ في البحث عنه.
فهل نحن نعيشها؟
أم أننا فقط نُمرّر الوقت... حتى تمرّ هي بنا؟

وربما... كل ما نحتاجه هو نظرة، ونسمة، وشمس خفيفة،
كي نعود إلى أنفسنا، ولو للحظة
لحظة نهمس فيها لأنفسنا: "أنا هنا... وأنا أحاول"

" في داخلي حياة كاملة لم تُعش... لكنها تزهّر كلما مرّ اسمها في
ذاكرتي"

"لا أعيش الحياة... بل أتسلل بين لحظاتها، أبحث عن نفسي في ظلّ،
في نظرة، في نسمةٍ تعرفني أكثر من أي أحد"

"الحياة لا تسأل إن كنا مستعدين، تمرّ بنا كما النسيم، تمسّنا،
وتختفي... ونحن ما زلنا نحاول الفهم"

"ربما لم أعش الحياة كما ينبغي، لكنني عشت نظرة واحدة شعرت فيها
أن العالم كله توقف"

لا أحد ينجو دون ندبة...!

بقلم قلب لم ينعم أن يمشي وهو يعرج،
لكنه تعلم أن يمضي رغم كل شيء...
أن يستند على وجعه لا يسقط، بل ليقوم أقوى مما كان.

أتعلم؟

في البداية، كنت أظن أن أقوى الناس هم أولئك الذين لا يكون.
الذين يواصلون طريقهم رغم كل العواصف، والرياح، والخذلان..
يمشون دون أن يلتفتوا، دون أن يظهروا ألمهم.

كنت أظن أن النجاة تعني أن تخرج من كل ذلك سليماً... بلا ندبة، بلا انكسار، بلا أثر.

أن تبقى كما كنت، كأن شيئاً لم يحدث.
لكنني اليوم، وبعد أن انطفأت داخلي شموع كثيرة، وأغلقت نوافذ الأمل مراراً...
صرت أعلم، وأدركت الحقيقة التي لم يخبرني بها أحد من قبل:
"لا أحد ينجو دون ندبة"

ولست أتكلم عن الجراح الواضحة، تلك التي يراها الناس ويلمسونها.
بل عن تلك التي تسكن فينا... في أرواحنا.
ندبة صامتة... لكنها تبقى، كظل لا يغيب، كصوت مكتوم لا يسمعه أحد،
لكننا نسمعه جيداً، في أعماق نقطة منا.

أتذكر يومها جيداً...
يوم سقط كل شيء في قلبي دفعة واحدة.
لا صراخ، لا دموع، لا ردود فعل.
بل صمت... عميق وموجع.
كأن الحياة قررت أن تلقني درساً بطريقتها الخاصة.
وقالت لي دون أن تتنطق:
"سأمنحك النضج... لكن بثمن!"

كنت أظن أنني بخير.
أبتسم، وأقول أنني تجاوزت، إنني نسيت، إنني سامحت.
لكن الحقيقة؟

كنت أمشي والندبة داخلي تنزف... بصمت.
وما أقسى أن يكون النزف صامتاً!
أن تمضي يومك وتبتسم... بينما داخلك ينهار بصمت تام.

الندبة ليست دائماً من فقد حبيب، أو خيانة صديق، أو موت عزيز.
أحياناً تكون من نفسك.

من لحظات خذلت فيها ذاتك،
حين سكّت عن ما كان يستحق أن تصرخ لأجله.
حين بقيت في مكان لا يليق بك،
حين منحت وقتك ومشاعرك لمن لم يعرف قيمتها.
حين فتحت قلبك لمن لا يملك مفاتيح الحفظ.

مرت أيام شعرت فيها أنني قطعة زجاج مكسورة،
يخشى الناس لمسها،
وأخشى أنا أن أرح من يقترب.
لكني رغم ذلك... لم أكره ندبتي.
بل أحببتها.

هي ليست دليل فشل، بل شهادة حياة.
تذكّر أنني عبرت الجحيم... وعدت.
ربما بلا أجنحة، لكنني عدت!

الندبة لم تغيّرنني فقط،
بل أعادت تعريفني لنفسي.
صرت أعرف من أنا، ما أريده، ومن لا أريده أبداً.
تعلمت أن النضج ليس في عدد الكتب التي نقرأها،
ولا في عدد السنوات التي نعيشها،
بل في عدد المرات التي كدنا فيها أن ننكسر... ثم أكملنا.

اليوم، حين أنظر في مرآة الذاكرة،
أبتسم...
لا لأنني نسيت الألم،
بل لأنني احترمتَه.
تعلمت أن أقدرَه،
أن أحتضن تلك اللحظات التي كسرتني،
لأنها شكّلتني.

فيا من تقرأني الآن،
لا تخجل من ندبتك.
لا تُخفِ وجعك وكأنه خاطئة.
فنحن لا نولد أقوياء،
بل نصير كذلك... بعد كل ندبة.
نحن لا ننجو بلا جروح،
ولا نتعلم بلا خسارات.
وكل ندبة... هي جزء منك، ليست دليل ضعف، بل دليل نجاة.

وصدقني...
القلوب التي تحبك رغم ندوبك،
هي وحدها التي تستحق أن تبقى.

"الندبة ليست عيباً، بل وسامٌ على الروح
دليل أنك دخلت المعركة، وخرجت حياً، حتى لو مثقلاً بالحزن"

توقف عن الطرق على أبواب لا تُفتح...!

حديث من روح جُرحت... ففهمت!

كنت أظن أن الإصرار فضيلة،
وأن كل باب مغلق ما هو إلا امتحان لصبري،
وأن الطرق المتكرر سيلين القلوب... كما يفعل الماء حين ينحت الحجر.

لكني كنت أخطئ.

فبعض الأبواب يا صاحبي، ليست مغلقة لأنها قاسية،
بل لأنها لا تخصك... لم تُخلق لك.

تمامًا كزهرة تحاول أن تنمو في تربة لا تعرفها،
كطائر يحوم حول شجرة لا تحبه...
كقلب يتدلى على شرفة لا ينتظره فيها أحد.

هل جرّبت أن تطرق بابًا بقلبك؟
أن تقف بكل ما فيك... بذكرياتك، بحنينك، بخيبتك،
وتقول في داخلك: "ربما هذه المرة"...
لكن الباب لا يُفتح. لا يُفتح أبدًا.

لا لأن من بداخله نائم... بل لأنه لا يسمعك،
أو لعله يسمعك... لكنه لا يريد أن يراك.

وهنا، تأتي المرارة الحقيقية.

كنتُ أعود إلى ذات المكان، كما تعود الأمواج إلى شاطئها،
ليس حبًا في البحر، بل لأن الذاكرة لا تعرف غيره.
أجلس حيث اعتدنا، أبتسم حيث كنت تضحك،

وأسأل نفسي:
لماذا أطرق على ما لم يعد بيته بيتي؟

هل كان قلبي بليدًا؟ أم أن الحنين يعمي عن الحقائق؟

في الطبيعة دروس كثيرة...
الشمس لا تنتظر أحدًا، تمضي كل يوم في طريقها،
والأشجار، حين تجد التربة فقيرة، لا تلومها... بل تسقط أوراقها وتمضي نحو
الخریف بكرامة.

والنهر، حين يُغلق مجراه، لا يبكي عند السدّ،
بل يبحث عن مجرى آخر... لأنه يعرف أن الماء لا يُحب القيد،
وأن الحياة لا تُعطى لمن يظلّ واقفًا عند بابٍ لا يُفتح.

فلماذا نمكث نحن؟
نطرق ونتعب، ونُنهك أرواحنا في الرجاء،
وننسى أنفسنا عند أعتاب من لا يشتاقون إلينا؟

أتعلم ما هو المؤلم حقًا؟
أنك حين تُفرط في الطرق... تنسى صوتك.
تضيع ملامحك بين خيبات الردود أو غيابها.
تتحوّل من عاشقٍ إلى متسوّل عاطفة.

اليوم...
أنا لا أطرق.
ليس يأسًا، بل نُضجًا.
تعلمتُ أن الأبواب التي لا تفتح سريعًا... لن تفتح أبدًا.
وأن من لا يفتح لك قلبه عند ندائك الأول... لن يفتح لك عينيه عند رحيلك الأخير!

يا صديقي،
الحبّ الحقيقي لا يحتاج صخباً،
والذين يحبونك حقاً... لا يُجبرونك على الوقوف طويلاً عند العتبة.

فإن وجدت نفسك تطرق، وتطرق، وتطرق...
دون صوتٍ من الداخل،
فاعلم أن الطريق ليس لك،
وأن الكرامة... هي أجمل بابٍ قد تمرّ به.

"بعض الأبواب لا تُغلق لأنك لا تستحقها، بل لأنها لم تُخلق لك من الأساس"

"لا تُفرط في الطّرق، فتنسى صوتك. لا ترهق يدك، على أبوابٍ لا تنتظر يدك"

"الأشجار حين تجد التربة فقيرة، لا تبكي... بل تُسقط أوراقها وتمضي نحو الخريف بكرامة"

"توقف عن انتظار النور من نافذة أُغلقت في وجهك، فالشمس لا تُحب السكون"

حين يتأخر الفهم... يصبح الاعتذار بلا طعم

كلمات من قلبٍ تعب أن يشرح نفسه...

أتدري ما الذي يجعل الاعتذار أحيانًا بلا معنى؟
هو أنه يصل متأخرًا...
بعد أن يكون الألم قد تمدد في القلب، كجذر شجرة يابسة،
تغلغل في العمق، واستقرّ في الأماكن التي لم يعد يُجدي فيها الترميم.

كنتُ ممن يُحسنون الظنَّ...
أصبر، وأنتظر، وأقول: "سيفهم"
سيدرك أنني ما كنت أقصده بالأذى،
أنني كنت أحبه بطريقتي،
أن صمتي لم يكن بروءًا، بل خوفًا،
وأن الغضب لم يكن كرهاً، بل وجعًا لا يعرف كيف يخرج.
لكن الفهم... تأخر.

ولك أن تتخيّل يا صاحبي،
أنك تُطفئ حريقًا بعد أن صار رمادًا،
أنك تداوي جرحًا بعد أن تعفّن،
أنك تهمس بكلمة "أحبك" لقلبٍ توقّف عن النبض.

هل ينفع؟
هل تشفي كلمةً قيلت متأخرة... قلبًا قد تعلّم النسيان؟
هل يعود الربيع إذا تأخرت الغيمة، وسافرت الفراشات؟

هناك لحظة في الحياة،
تكون فيها الكلمة أثمن من كنز،

ولكن تلك اللحظة، إن مضت...
صار الكلام مجرد صوتٍ يتردد في الفراغ.

تمامًا كالمطر...
هو نعمة حين يسقط على الأرض العطشى،
لكنه قد يغرق الزرع إن جاء في غير أوانه.

أتذكّر مواقف كثيرة...
بقيت فيها صامتًا، خائفًا من أن أتكلّم،
أو متعبًا من التبرير،
أو حتى مشغولًا بإثبات شيء لا يحتاج إثباتًا.

ثم مرّ الوقت...
وغادروا.
غادروا وهم يظنون أنني لم أحب،
أو أنني لم أفهم،
أو أنني كنت أنانيًا في كل شيء.

وجاؤوا بعدها، بعد شهور، بعد سنوات.
بكلماتٍ لم يعد لها مكان.

العلاقات يا صديقي لا تُبنى على "كان يجب أن أقول"،
ولا تُرمم بـ"لو كنت أعلم"،
القلب البشري ليس متحفًا نعلّق فيه الكلمات القديمة،
بل هو كغصنٍ طري... إن انكسر، لا يعود كما كان.

فلا تُؤجل فهمك.
ولا تؤخّر اعتذارك.
بعض الكلمات تُقال في وقتها... أو لا تُقال أبدًا.
لأنها إن فاتها توقيتها،
صارت كزهرة جميلة قُطفت بعد ذبولها.

والحبّ؟
إن لم يفهم في أوانه...
يصبح خرافة.

"بعض الكلمات، إن فاتها وقتها، تصبح كالمطر المتأخر... لا يسقي،
بل يُغرق"

"الفهم الذي يأتي بعد أن نكسر شيئاً، لا يصلحه... بل يُخبرنا كم كنّا
متأخرين"

"قل لي كل شيء في حينه... لا تُحبني بعد أن تعودت على غيابك"

"تعلمت أن أسامح، لكنني لم أعد أفتح قلبي لمن فهمني بعد أن تعبت
من شرح نفسي"

إليك، أيها القارئ... كيف حال قلبك؟

هل تشعر بشيء الآن؟
قد تكون سعيداً، ممتناً، خفيفاً كنسمة صيف...
أو لعلك حزين، مُنهك، تجرّ قلبك معك كما تُجرّ الريح غصناً مكسوراً.

أياً يكن ما بداخلك...
هذا المكان، هذه الصفحات، وجدت لأجلك.
مكان بسيط... لا يراك فيه أحد، ولا يُحاكمك أحد.
مساحة تشبه الحقول بعد المطر... مهياة لأن تنبت ما تشاء من الكلام.

اكتب كما أنت.
بخطك، بلغتك، بفوضويتك... لا تُجمل، لا تُرتب، لا تبرّر.

فالكلمات التي نكتبها لأنفسنا...
هي أصدق ما نملك.
وما يُقال في هذه اللحظات، قد يكون الشيء الوحيد الذي ينقذنا لاحقاً ❀.

اكتب ما في خاطرك.
الصفحتان التاليتان لك وحدك، لا تنظر فيها إلى الورق... بل إلى نفسك.

"اكتب كما لو أنك تططب على قلبك بيديك" ۞

"ما تكتبه هنا، سيحفظه الورق حين تنسى أنت" 🌙

في لحظة النضج... ستدرك أن السلام أغلى من كل انتصار

لم أفهم ذلك فوراً...
بل احتجت لسنين من الصراخ الداخلي،
من الجدل الذي لا ينتهي،
من محاولات إثبات أنني على حق،
حتى لو كلفني ذلك صحتي، راحتي، وقلبي نفسه.

أتذكر يوماً،
كنت فيه في نقاش طويل مع من أحب،
أردت فقط أن أفهم،
أن يقال لي: "معك حق"
كنت أقاتل بكلماتي، أذافع عن قلبي وكأنني في معركة لا مجال فيها للهزيمة.

ولكنني خسرت...
ليس النقاش، بل نفسي.

خرجتُ من ذاك الموقف صامئاً، لا لأنني اقتنعت، بل لأنني اكتشفت أنني كنت أقاتل
لأجل لا شيء.
كأنني أمسك الريح بيدي،
كأنني أصرخ في وادٍ لا صدى فيه.

مرت شهور بعد ذلك،
هدأت... لا لأن الحياة هدأت، بل لأنني لم أعد أريد من أحد أن يُصَفَّق لي،
ولا أن يُعلن فوزي،
بل فقط... أن أكون بخير.

في لحظة ما لحظة صافية، نقيّة، لا ضجيج فيها.
أدركت أن السلام أغلى من كل انتصار!

أنني لا أحتاج أن أريح كل نقاش،
ولا أن أثبت شيئاً كل مرة،
ولا أن أفهم من الجميع... يكفي أن أفهم نفسي.

السلام؟
هو أن أنام دون أن يُرهقني التفكير.
أن أغادر مجلساً دون أن أحل كل كلمة قيلت.
أن أختار الصمت، لا عن ضعف، بل عن نُضج.
أن أسامح، لا لأنهم يستحقون، بل لأن قلبي يستحق أن يُشفى.

تماماً كما تهدأ الأرض بعد العاصفة،
كما تتنفس السماء بعد المطر،
كذلك نحن... نحتاج لأن نُفرغ أنفسنا من الصراع، لنعود إلى الحياة.

أصبحتُ الآن أختار معاركي.
أترك الجدل وراء ظهري،
ولا أفتح أبواباً أعرف أن دخانها سيخنقني.
صرتُ أعرف أن راحتي أعلى من أن أبرر نفسي ألف مرة،
وأن كل "انتصار" لا يترك في قلبي سلاماً... بل هزيمة في ثوبٍ مزركش!

"في لحظة النضج، لا تبحث عن أن تكون على حق، بل أن تكون في
سلام"

"الصمت الذي يُختار بوعي... أعلى صوتاً من أي جدالٍ لا نهاية له"

القلب لا يُكسر مرة واحدة... بل يتشقق كل مرة يُخذل فيها

لم أستيقظ ذات صباح على قلب مكسور،
لم أنهر فجأة،
ولم يأتِ الحزن كعاصفةٍ فجائيةٍ أطاحت بكل شيء...
بل جاء على مهل.

كقطرة ماء تنزلق ببطءٍ على زجاج النافذة،
تبدو بريئة... لكنها تجرّ خلفها خطاً رقيقاً من الوجع،
وهكذا تماماً... كان انكساري.

كنت أظن أن القلوب تُكسر مرة واحدة.
أن هناك لحظة فاصلة، ضربة واحدة، موقفٌ واحد... بعده يتغير كل شيء.
لكنني اكتشفت — متأخراً — أن الانكسار الحقيقي لا يأتي دفعةً واحدة،
بل يتسلل إليك خلسة،
مع كل خذلان صغير،
كل وعدٍ لم يُوف،
كل كلمة انتظرتها ولم تصل،
وكل مرة كنت بحاجة لأحد، فلم تجد إلا الفراغ.

تخيلت قلبي يوماً كأساً من زجاج رقيق،
شفاف، نقي، لكنه هشّ.
وفي كل مرة يُخذل فيها... تظهر فيه شقوق صغيرة.
ليست واضحة، لا تكسره فوراً،
لكنها موجودة، تتكاثر بصمت،
حتى يأتي اليوم الذي لا يُكسر فيه القلب... بل ينهار!

تذكر جيداً...
لم يكن هناك صوت انفجار،
ولا صرخة كبيرة،
بل فقط... لحظة صمت،
لحظة شعرت فيها أنني لا أملك طاقة للحزن،
ولا حتى للبكاء.

وهنا، عرفت أن الانكسار قد اكتمل.

لا تلم أحداً إن لم يفهمك.
فالقلوب المتشقة لا تبوح بصوت،
هي فقط تتحدث بانطفاء العيون،
ببرود السلام،
وبابتسامة باهتة لا تشبه شيئاً سوى التعب.

لكني رغم كل ذلك... لم أمت.
ما زلت أتنفس.
وإن كان قلبي قد تشقق،
فكل شقّ فيه علمني شيئاً:
أن أثق في نفسي أكثر،
أن أختار بعناية،
وأن لا أمدّ قلبي لمن لا يعرف كيف يحمله.

لقد علمني الخذلان أن النقاء نعمة،
لكن لا يُمنح لكل من يطلبه.
وأن الطيبة دون وعي... تؤلم،
وأن من لا يقدر قلبك اليوم،
لن يندم غداً... بل أنت من سيندم إن بقيت!

على أطلال الحنين... ❏

هل حدث يوماً... أن شعرت وكأن الحياة تدفعك للخلف، مهما حاولت التقدّم؟
كانك تمشي في أرضٍ من رمالٍ ناعمة، كلما رفعت قدمك غرقت الأخرى، وكلما
حاولت النجاة، جذبك الصمت إلى أعماقٍ لا قرار لها.

أتعرف ذاك الشعور... حين تفقد أحبابك؟
ليس فقط من دفنتهم بيديك، بل أولئك الذين غابت وجوههم عنك وهم أحياء.
بينك وبينهم مسافات، وسنوات، وحواجز من الكلمات التي لم تُقل... ومن العتاب
الذي تأخر كثيراً.

أنا لا أحكي قصة... أنا أفتح صدري.
هناك، حيث الألم مقيمٌ كضيفٍ ثقيل، والذكريات تنام على الأرائك كأنها تنتظر من
يوقظها بلطف، لكنها حين تستفيق... تجرح.

كل يوم، كأني أشيع جنازة جزء من قلبي.
أمشي في جنازتي دون بكاء... لكن الروح تصرخ بصمتٍ، لا يسمعه إلا الله.

وأساءل:
أي دربٍ هذا الذي أسير فيه وحدي؟
النجوم التي كنت أستدل بها... غابت.
والسما؟ أغلقتها الغيوم.
وكل الطرق، باتت بلا عنوان.

فرفعت يدي، وهمستُ

"يا إلهي... أنا هنا. مُتعب. مُنْهَك
إن كان للرجاء باب، فافتحه لي
وإن كان للنور طريق، دلّني عليه
إني أتيتك كما أنا... لا أقوى على شيء، إلا أنك ربي"

أشتاق...
أشتاق لأولئك الذين أحببتهم بصدق... لكن البعد نحت في القلب خنجرًا لا يُسحب.
وأصبحت الذكرى... مرهمًا وجرحًا.
تهدّئي وثرّبكني في آنٍ واحد.

لكن... رغم كل هذا؟
أقسم أن في قلبي بقية نور.
بقية رجاء.
وفي روعي صوت خافت يقول لي:
"اصبر، فإن الله لا يُنسى، ولا يُهمل، ولا يُغفل عن قلبٍ أنينه وصل إليه"

فأنا لا أخفي ألمي، ولا أظهار بالقوة،
لكنني أتمسك بهذا الخيط الرفيع من الأمل...
لأنني أؤمن، أن بعد كل ليلٍ طويل... لا بد أن يُشرق النور.

ما أقوله ليس شعراً... ولا حكاية.
إنه نبض إنسان، يحاول أن يعيش، ولو بنصف قلب.

"بعض الفقد لا يُبكى... يُصمت له، ويُحمل كأنه جرح لا يراه إلا الله"

"الذكرى... خنجرٌ يلعب بالحب، لكنه يُقطع بالحنين"

يا رفيقي، زماني أضلاني *** وكأنَّ الدُّجى صارَ أكفاني
قد تركتُ الليالي تطوي حياتي *** كلُّ يومٍ يُلقِي عليَّ جثماني
قد دفنتُ الأحبَّةَ تحتَ ترابٍ *** وصراخُ الفراقِ يهزُّ وجداني
والبقيةُ صاروا سرابَ وصالٍ *** لا يرى، مثلَ وهمٍ بأذهاني
أيُّ دربٍ أسيرُ إليه وحدي؟ *** والظلامُ احتوى كلَّ إيماني
أينَ نجمي؟ أراه خلفَ غيومٍ *** قد أغلقتُ سماءَ بلا عنوانٍ
يا إلهي، أتيتُك الآنَ أرجو *** أن تُعيدَ الحياةَ إلى شرياني
يا إلهي، قد أثقلتني دنوبي *** فارفعِ العباءَ عن روحي وجثماني
كم أحنُّ إلى الصَّحبِ، لكنَّ بُعداً *** صارَ في القلبِ خنجرَ الطُّغيانِ
غيرَ أنَّ الذِّكرى حياةٌ لروحي *** تُنَعِّشُ العُمَرَ رَغَمَ الأسَى والهوانِ
أيُّ قلبٍ سيبقى دونَ صبرٍ؟ *** إنَّ صبري دليلُ ثباتِ جناني
فاعتصمُ بالرجاءِ، فربُّكَ نورٌ *** يكسِرُ الليلَ ضوئاً على الأكوانِ

على ظلال الوتر

لم يعد رمضان كما كان ...

لم يعد رمضان كما كان، لم يعد ذلك الشهر الذي كنتُ أترقبه بلهفة الطفل حين يرى هلاله الأول. كبرتُ، أو ربما ضاقت روحي تحت وطأة الفقد، فلم يعد لطبيعة الشهر ذاك البريق القديم. كنتُ أعدُّ الأيام شوقًا، أما اليوم فأعدها وكأنها ثقلٌ على صدري، وكأنها تجرني نحو مكان مظلم، بعيد عن نور الله.

الموائد تمتلئ، لكن المقاعد ناقصة، والعائلات حول المائدة تقاسمت بعضها، وأنا وحدي، وحدي مع الفراغ الذي لا أستطيع ملأه. المآذن تصدح، لكن أصواتًا كثيرة صمتت إلى الأبد، وكأنها لا تجد من يسمعها، وكأنني أنا أيضًا قد صمتُ في داخلي.

كل شيء يبدو كما هو، لكنه ليس كذلك. الطرقات التي كنتُ أمشيها ليلاً متجهاً إلى المسجد، كم بدت طويلة الآن، وكأنها تمتدُّ بي إلى فراغ لا نهاية له، إلى مساحة خالية من كل شيء جميل. لا أسمع الأحاديث ذاتها، لا أرى الوجوه التي كانت تبتسم لي عند كل لقاء. حتى صوت الأذان صار موحشًا، لا لأنه تغير، بل لأنني فقدت الذين كنتُ أسمعه معهم. كل شيء بقي في مكانه إلا الذين كنتُ أعدُّهم جزءًا من رمضان، أولئك الذين كانوا يجعلون هذا الشهر حيًّا في قلبي.

هذا الشهر الذي كان يملأني دفنًا، صار يذكرني بكل ما برد في داخلي. فقدتُ فيه وجوهًا لا تعود، وأصواتًا لن تتردد ثانية. كنتُ أعتقد أن من يمضي يترك وراءه ذكرى، لكن الحقيقة أن من يرحل يأخذ جزءًا منك معه، يسرق من الأشياء معناها، ويتركك تعيش على حافة الذكرى، بلا قدرة على العودة أو المضي قدمًا.

رمضان أصبح موسمًا للحزن بقدر ما كان موسمًا للبهجة. كنتُ أظنه زمناً تتجدد فيه الروح، لكنه صار زمناً أكتشف فيه كم صرتُ فارغًا. كل ركعة أشعر بثقلها، وكأن السماء لا تستجيب لدعائي، كل دعاءٍ يذكرني بمن لم يعد ليسمعه، كل مائدةٍ تنقصها يدٌ كانت تمتدُّ لتناول الخبز وتضعه في فمي قبل أن أطلب. كيف يعوضني رمضان عن الذين كانوا يجعلونه حيًّا في داخلي؟

كيف يمكن أن يملأ هذا الشهر خواء قلب تعلم أن الأشخاص الذين كانوا يملأونه بالحب قد رحلوا؟ كل يوم يمر، أدرك أكثر كم كنتُ أحمق حين ظننتُ أنَّ الأشياء ثابتة، وأنَّ المواسم تعيد نفسها كما هي. كم كنتُ مغرورًا بفكرة الامتلاء، وأنا اليوم أدرك كيف يمكن للفراغ أن يكون عميقًا بلا قاع. كنتُ أقول "رمضان يجمعنا"، لكنني الآن أدرك أنَّه لا يجمع إلا الذكريات، ويتركني أراقبها كأطيافٍ بعيدة، لا أملك أن ألمسها، ولا أن أعيشها من جديد.

ربما سيأتي رمضان القادم، وأكون قد اعتدتُ على الغياب، أو ربما أموت فأرتاح من هذا الثقل الذي يعتصر صدري. ربما أصبح ذكرى لا يعاتبها أحد، أو أختفي في فراغ لا يملؤه شيء.

ربما لا أحتاج إلى رمضان ليذكرني بمن رحلوا، بل أحتاج فقط إلى النهاية التي تريحني من هذا الشعور القاتل بالوحدة. أموت كما ماتت الأوقات الجميلة، وأترك ورائي ما تبقى من لحظات موجعة، تجسد كل ما فقدته في هذا الشهر الذي أصبح يذكرني بألمي أكثر مما يذكرني بالرحمة.

"لم يعد الهلال يلعب في عيني كما كان، لأن من كنتُ أراه معهم... لم يعودوا هنا"

"المآذن تصدح، لكن قلبي لا يصغي... كأن صوت اللهفة فيه قد سكن"

"كل سجدة باتت تحكي لي قصة غائب، وكل دعاء... نداء لا يُجاب"

في حضرة الطبيعة... ١

حين تضيق بي الحياة، أخرج.
لا أطلب إجابة، فقط أبحث عن صمتٍ يُشبه قلبي.

أمشي بين الأشجار، وكأنّ كل غصنٍ مائل يهمس لي:
"لقد سقطنا كثيرًا... لكننا ما زلنا واقفين"
لا أحد يطلب مني تفسيرًا، ولا يُحمّلني أكثر مما أطيق.

أنظر إلى الغيم، يتحرّك دون سبب،
والمطر ينزل دون وعد،
فأدرك أن بعض الأشياء أجمل حين لا تُفسّر.

البحر وحده يُجيد الاستماع.
لا يسأل، لا يُقاطع، فقط يأخذ حزنك بموجه ويُعيدهِ إليك أخفّ.

في الطبيعة، لا أحد يطلب منك أن تكون غير نفسك.
هي تقبلُك كما أنت...
متعبًا، صامتًا، مليئًا بما لا يُقال.

وهناك، وسط الشجر والهواء،
أفهم شيئًا واحدًا:
أن الهدوء ليس هروبًا، بل شفاء.

ضوء تحت التراب... ■

هل سبق لك أن فقدت أحداً،
لكّنه لم يرغب؟
رحل جسداً، نعم،
لكنه بقي... بقي في كل شيء،
كان روحه تتجول حولك في الهواء،
كأن ملامحه طُبعت على جدران قلبك،
كانك حين تناديه في داخلك ... يجيب.

أنا فقدت.
لكنني لم أفقد كل شيء.
فهو ما زال هنا...
لا بجسده، بل بتفاصيله الصغيرة التي لا ترحل.

في صوته الذي أسمع في رأسي حين أحتاج نصيحة.
في رائحته التي تأتي فجأة، بلا سبب، وتملأ الغرفة كأنه مرّ للتو.
في فنجان القهوة، في المقعد الفارغ، في الضحكة التي صارت أهدأ بعده.

أدري أن الموت يعني الغياب،
يعني التراب، والصمت، والنهاية.
لكن...
هو لم ينتهِ بالنسبة لي.
وكان جزءاً منه انسكب بداخلي يوم ودّعته،
وكان ضوءاً صغيراً انطفأ فوق الأرض...
ثم اشتعل تحتي.

تحت التراب،
حيث لا نراه،

لكننا نشعر به.
بكل مرّة نشأتق... ونسكت.
بكل مرّة نضحك... ونتلقّت حولنا.
بكل مرّة نقول: لو كان هنا... لضحك، لقال، لعلّق.

أتعلم؟

حين نحب بصدق،
لا يموت من نحبهم،
بل يتحوّلون إلى ضوء،
ضوء تحت التراب،
ينبعث كل يوم فينا، دون أن نراه... لكننا نشعر بدفئه.

هو الحاضر الغائب،
الذي نزوره بلا مواعيد،
ونحدّثه بلا كلمات،
وننتظره... ونحن نعلم أنه لن يأتي،
لكننا نؤمن أنه لا يبتعد.

لا أعلم كيف يكون للتراب ضوء...
لكنّي أقسم أنني أراه.
أراه حين أشتاق فلا أنفجر،
حين أضع رأسي على الوسادة... وأشعر أن هناك من يرّبت على قلبي.

رحل، نعم.
لكنه لم يغب.
وهذا، والله، هو الخلود بعينه.

ارتقي لترى لا لترى...!

نص إنساني، حكيم، فصيح، يروي نفسه بنفسه...

هل جرّبت يوماً أن تصعد... ثم تنظر من الأعلى ولا تجد أحداً؟

أن تظن أنّك بلغت قمة المجد، فإذا بها قمة الوحدة؟

كنت أظن أنني حين أبهرهم، سأشعر بالاكتمال.
وحين يصفقون، سأشعر أنني أستحق الحياة.
كنت أجمع الإنجازات كما يجمع الطفل الحلوى، لا لأنني جائع، بل لأنني كنت خائفاً... أن يُقال إنني "لا شيء".

كنت أتسلّق بسرعة، أنظر للخلف وأتأكد أنني مرئي، لاعم، حاضر في كل حديث.
لكنني، في الحقيقة، كنت أهرب.
أهرب من صوتٍ داخلي يهمس لي كل مساء:
كل من تبهرهم... "لا يعرفونك".
وكل من تبهرهم... "لا يشبهونك".

حتى جاء ذلك المساء.

كنت وحيداً، وقد تعبت من الركض.
لا تصفيق، لا أعين، لا منافسة...
فقط أنا، ونفسي، وسؤال ظلّ يحاصرني:
"لماذا تفعل كل هذا؟"
هل تحبّ ما تفعل، أم تحبّ كيف يصفقون لك عندما تفعله؟

حينها، بكيت.

ولم تكن دموع خيبة... بل دموع صحة.
بكيت لأنني عرفت كم من العمر أضعته لأكون مرئيًا، دون أن أرى نفسي.

أتدري كيف هو الشعور حين تُرضي الجميع، ثم تنام ليلتك وأنت غريب عن نفسك؟
كأنك تعيش حياة مستعارة، كأنك ضيفٌ في بيتك، وصوتك لا يخرج دون إذن أحد.

حينها فقط، قرّرت أنني سأرتقي...
لكن لا لأرى، بل لأرى.

أردت أن أرتفع، لا فوق الناس، بل فوق ما يُرهقني فيهم.

أردت أن أصعد قمة لا يهتم من يراها، ولا من يصوّرها...
قمة فيها أنا فقط، وبصيرتي، وقلبي حين يكون صادقًا.

هناك، رأيت الطاووس.

يفرد ريشه الجميل أمام الجميع... لكنه لا يطير.
جميلٌ نعم... لكن جماله لا يُنقذ روحه.
جميلٌ... لكنه عالق.

وعرفت أنني كنت مثله.
أريهم ألواني، ولا أخبرهم عن نزيفي.
أبتسم، وأخبئ خلف ابتسامتي كل الليالي التي تمنيت فيها أن أكون مرئيًا... فقط
لنفسي.

اليوم، كلما صعدت... صعدت لأجل عيني، لا أعينهم.
صعدت لأشكر الله أنني نجوت من وهم التصفيق، ومن سكر المديح، ومن عبودية
الرأي العام.

الارتقاء لا يعني أن تُصبح الأفضل، بل أن تُصبح أنت، دون حاجة لأن تقارن أو
تُقارن.

الارتقاء هو أن تقول:
"كفاني تمثيلاً... أريد أن أعيش، لا أن أُعرض"

أن تختار الصمت بدل الضجيج، العمق بدل الانبهار، النور الداخلي بدل ألف ضوء خارجي.

أن تُصبح صادقاً حدّ الألم،
هشّاً حدّ الجمال،
واضحاً حدّ أن تراه دون مرآة.

أنا اليوم لا أسابق أحداً.
وإن مرّ الطاووس أمامي بريشه الباهر، ابتسمت... وتذكّرت أن النسور لا
تُبهر... لكنها تطير.

"الارتقاء لا يعني أن تُصبح الأفضل، بل أن تُصبح أنت"

"من اليوم... ارتقي، لأنني أستحق أن أرى، لا لأنني أريد أن يُراني "
أحد"

"بكيت، لا لأنني خائف... بل لأنني بدأت أفهم"

الذاكرة... بين نعمة تُضيء وعبءٍ يُطفئ... ❏

تخطر في بالي الذاكرة كأنها غيمة...
لا أعلم متى جاءت، ولا متى ستمطر،
لكني أعرف جيداً... أنها تحمل شيئاً ما.
شيئاً، إما أن يزهر في قلبي، أو يُغرقني في صمتي.

أليست الذاكرة كمطر مفاجئ؟
قد يروي الأرض العطشى، وقد يُغرق الطريق الذي كدثُ أبلغه أخيراً.

أحياناً... أشعر أنها هدية من الله،
أن نحفظ بلحظة دفء، بضوء من ماضٍ كان نقياً،
كأنك تزرع شجرة داخل قلبك،
وتسقيها كلما مررت بموقف يُشبهها،
فتكبر، وتثمر، وتمنحك ظلاً حين تشتد حرارة الحياة.

لكن في أحيانٍ أخرى.
تبدو الذاكرة كصخرة ثقيلة، نحملها في ظهورنا،
لا نَظهر ألمها للناس، لكننا نُحني لها ظهورنا كل ليلة.

لماذا نتذكر؟
لأن في الذكرى حياة، أو بقايا منها.
لأننا لا نريد أن ننسى من كنّا،
ولا من مرّوا بنا،
ولا كيف كنّا نضحك... قبل أن نعرف معنى الغياب.

الذاكرة يا صديقي، تشبه البحر...
فيها أسرار مدفونة،
وأمواج هادئة لا تؤذي،
لكن أحياناً... تأتي العاصفة.

كم مرة حاولت أن أنسى شيئاً،
فإذا به يعود في لحظة سكون؟
ربما أثناء غروب، أو عند رائحة عطر قديم،
أو حتى في وجه لا يُشبههم، لكنّه يمرّ بجانبك فيذكرك بكلّ الذين رحلوا.

الذاكرة ليست خياراً... هي فطرة.
خلقنا الله نحملها كما نحمل أعيننا...
لكننا نُقرّر: هل نُغمضها حين نُوجع؟
أم نُواجهها ونقول: "أنا مستعد للحنين، حتى لو جرحني" ؟

الذاكرة تُعيدك لطفولتك، لصوت أمك وهي تناديك،
لأصدقاء ضحكتم على أشياء لا تضحك...
لقلوب أحببتكم بصدق، ثم غابت.
فهل تُسمي ذلك عبثاً؟
أم تُسميه بقايا حياة لا تُنسى؟

وأحياناً...
قد تكون الذاكرة هي الشيء الوحيد الذي لم يفقدك،
الشيء الذي ظلّ معك، حين غادر الجميع.

هي نعمة حين تُديرها بلطف...
وهي عبء، حين تُقيم فيها أكثر من اللازم.

فاختر دائماً أن تتذكّر، لكن لا تسكن هناك.
مرّ عليها كما يمرّ النسيم على وردة ذابلة...
يلمسها، ولا يقطفها.

حديث مع الزمن... في حضرة الصمت

جلستُ مساءً، وقد أسندتُ ظهري إلى جدارٍ من الذكرى،
لا شيء حولي سوى صمتٍ يُشبه صوتي حين لا أجدُ ما أقول.
الليل طویلٌ، والساعة تنبض كما لو أنَّها قلبٌ أحدٍ فقدَ حبيبًا.

نظرتُ إلى الفراغ، ثم همستُ في داخلي:
"لو أنَّ للزمن صوتًا... لأجاني الآن"
فسمعتُ ما لم أكن أتوقعه.

قال لي الزمنُ:
"إنَّكَ تكثر من السؤال... لكنك تُنصت قليلًا"

قلت له:
"أخشى النسيان، يا زمن... فكلَّ من أحببت، مضى"
فأجاني بلينٍ حزين:
"أنا لم أمضِ بهم... هم فقط، اختاروا بابًا غير بابك"

سكتُ، ثم سألتُه:
"ولماذا يأخذني الشوق إلى طرقٍ مغلقة؟"
قال:
"لأنَّكَ إنسان... تبحث عن الدفء في الرماد"

نظرتُ إليه، وكان شفافًا كالماء،
قلت له: "ما الذكرى؟ ولماذا لا تموت؟"
أجاب:
الذكرى... هي ما تبقى من لحظاتٍ لم تُكمل حديثها
"وتموت حين تتقبَّل أنَّكَ لن تسمع بقيتها"

قلت له:
"هل أنا أضعتُ طريقِي وأنا أنظر خلفي؟"
قال:
أنت لم تُضع طريقَكَ،
لكِنَّكَ ركضتَ في اتجاهٍ خاطئٍ،
"ظننتُ أن الجواب هناك... بينما كان في قلبك"

وسكت الزمن.
وسكتُ معه.

ثم بدأت أرى الأشياء بشكلٍ آخر...

رأيتُ أمي في التجاعيد التي لم أفهمها يوماً...
وفي صوتها حين تُناديني بإسمي القديم،
اسم الطفولة، لا اللقب.
وفي لمستها حين تضع يدها على رأسي كأنها تُباركني من الزمن نفسه.

رأيتُ أبي في الخطى الثقيلة،
وفي الصمت الطويل الذي يسبق "كيفك؟"
رأيتُه في نظراتِ تُعاتب الحياة... لكنها لا تشتكي منها.

أدركتُ حينها أن الزمن لا يُقاس بالساعات،
بل يُقاس بقلوبٍ أحببت ثم تغيرت،
وبأماكن كانت لنا... ولم تعد.

أدركتُ أنني لا أريد نسيان من مرّوا،
لكِنِّي لا أريد أن أعيش في ممرّاتهم.
وأن الذكرى لا تؤذينا،
نحن من نوذي أنفسنا حين نحاول أن نُعيد صوتاً خفت... وحياءاً انتهت.

العطاء... هل هو حب؟ أم بحث عن تقدير؟

هل سألت نفسك يوماً: لماذا تُعطي؟
لماذا تُضيء لمن حولك، وأنت تنطفئ في الداخل؟
لماذا تحنو، حتى على من لم يلتفت؟
ولماذا حين تتوقف... تشعر بالذنب؟
هل العطاء فطرة؟ أم عادة؟ أو حب؟ بحث عن تقدير؟ أم لُغة قلوبٍ لم تُتقن الدفاع عن نفسها؟

أنا لا أملك إجابة واحدة،
لكّني أحمل في قلبي قصصاً كثيرة،
قصصاً عن أناسٍ منحوا قلوبهم قطعةً قطعة،
كأنهم أشجار في الخريف...
تُسقط أوراقها كلما هبت ريح من احتياج.

العطاء، يا صديقي، لا يشبه التجارة،
لكنه أيضاً لا يخلو من التمني.
نحن لا نُعطي فقط لأننا نُحب،
بل نُعطي أحياناً لأننا نبحث عن أنفسنا في عيون الآخرين.
نُعطي لأننا نظنّ، ولو سراً،
أن من نُحب، سيفهمنا أكثر حين نمنحه أكثر.

العطاء يشبه المطر...
يسقط على الأرض دون تمييز،
لكنه ينتظر أن يرى الزهر ينبت،
لا ليُقال له "شكراً"
بل ليطمئن أنّه لم يُهدر.

كم مرةً أعطيت، وابتسمت؟
ثم عدت إلى غرفتك، وانكმشت في زاويةٍ من روحك،

تسأل نفسك:
"هل شعر بي أحد؟ هل لاحظ أحد؟ هل أنا مرئي؟"

العطاء الصادق لا يطلب المقابل،
لكنه يتألم حين يُعامل كأمرٍ عادي...
لأنه ليس عادياً أبداً.

أن تُعطي من وقتك، من قلبك، من صبرك،
أن تصغي لألم غيرك وأنت غارق في جراحك،
أن تُمسك بيد أحدهم وأنت ترتجف في الداخل...
هذا ليس سلوكاً طبيعياً،
هذه بطولة لا تُروى في كتب، بل تُنسى بصمت.

وأحياناً...
العطاء لا يكون حباً، بل صرخة.
كأنك تقول للناس: "انظروا إلي، أنا موجود... أنا أستحق أيضاً"
لكننا لا نقولها، لأننا نخجل من حاجتنا،
فنُخفيها في هيئة لطفٍ زائد... وحنانٍ لا يُقاس.

ومع كل هذا،
تبقى النفوس العطاءة أكثر الأرواح تعباً،
لأنها حين تُحرم، لا تستكي،
وحين تُخدل، تبتسم،
وحين تُنسى، تواسي نفسها بنفسها.

لكن، يا صديقي...
لا تدع أحداً يُشعرك أن العطاء ضعف.
الذين يُعطون كثيراً، هم أقوى الناس،
لأنهم يُخالفون طبيعة هذا العالم الجاف،
ويزرعون الندى، حيث لا تنبت الأشياء.

كيف؟ فقط... كيف؟

هل مرّ عليك أحد، فقط مرّ، وغير كل ترتيبك من الداخل؟
هل حدث أن دخل شخص في يومك، لا بصخب، لا بأحداث كبيرة،
بل دخل كما تدخل رائحة عطر من نافذة مفتوحة... دون أن تشعر، لكنك بعده لا
تعود كما كنت؟

هل جرّبت أن تفكر في شخص... دون أن تملك سبباً؟
أن تستيقظ في منتصف الليل وتجد نفسك تبتسم، فقط لأنه خطر في بالك؟

أنا لا أبحث عن تفسير،
لكنني حقاً لا أفهم...
كيف استطاع أن يسكنني بهذا الشكل؟

لم يطرق باب قلبي...
لكنه دخل.
لم يطلب شيئاً...
لكنه أخذ مساحة،
لم يتعمّد أن يلفتني...
لكنني أصبحت أرى ملامحه في تفاصيل لا علاقة لها به.

هل هو يعرف؟
هل يشعر أنه صار صوتاً داخلياً أستدعيه حتى دون وعي؟
أنني أصبحت أرّتب يومي على مزاجه،
إن كان مرتاحاً، أنا أتنفّس،
وإن بدا متعباً... أشعر أن ظهري انحنى قليلاً.

إنه لا يعلّق كثيراً...
لكنه حين يتحدث، يتحدث بالفصحى،
بطريقة تلامس القلب...

كأنّه يعيد اللغة هيبتها، وللکلمة مكانتها.
كانّ كل جملة منه تحمل "وقارًا جميلًا"
وكل كلمة كأنها جاءت بعد تفكير طويل، لا استعجال فيها، ولا ضجيج.

كلامه يشبه نقطة ندى على ورقة نعناع في صباحٍ جديد،

هادئ، خفيف، نقي...

وأسلوبه في التعامل؟

يا الله...

كأنّه تدرب طويلًا على اللين،

لا يرفع صوته، لا يقاطع، لا يخرج،

بل يُنصت لك كما يُنصت العارف،

ويطمئنك كما تفعل يد الأم على ظهر صغيرها.

هو لطيف دون أن يتكأف،

وعميق دون أن يكون ثقیلاً،

هادئ، لكنه "ما يمرّ عادي"...

فيه شيء لا يُشبه أحد.

أحيانًا أنظر إليه وأتساءل...

ما الذي فعله مع الله حتى يكون بهذا الشكل؟

كيف اختيرت له هذه الروح دون سواها؟

كيف يمكن لشخص أن يكون بسيطًا جدًا... لكن يترك كل هذا الأثر؟

كيف جعلني أفكر فيه وأنا أمشي، وأنا أكتب، وأنا أحاول أن لا أفكر أصلاً؟

كيف صار الحضور الوحيد في تفكيري وأنا لا أملك منه شيئاً؟

كيف؟ فقط... كيف؟

إنه لا يعرف...

أنه حين يضحك، يضحك شيء صغير بداخلي.

وأنه حين يعبس، تتغيّر نبرة يومي.

أنه إن غاب عن يومي، يبهت كل شيء،

وإن حضر، صار كل شيء قابلاً للفرح.

أنا لا أسميه "حُبًا"،
لأنّ الكلمة أضيق من أن تحمله،
هو أكثر من ذلك،
هو شعور يشبه قطرة مطر في أول الشتاء،
أو ظل شجرة في ظهيرة حارة،
هو لحظة صدق... في عالم مزدحم بالتكأف.

وقد لا يعرف أبدًا أنني أكتب هذا الآن،
أنني أكتب عنه، لا لأنه طلب، ولا لأنه ينتظر،
بل فقط...
لأنّ القلب حين يمتلئ بشيء كهذا، لا بدّ أن يفيض.

"ثمة أشخاص لا تعرف كيف أحببتهم، لكنك تعرف جيدًا لماذا لا
تستطيع نسيانهم"

"لم يكن حضورًا عاديًا، بل كان كأنّ الحياة قررت أن تمنحني استراحة
ناعمة على هيئة إنسان"

"كل ما فيه يقول: أنا لست عابرًا... أنا من اختارني قلبك دون أن
تستأذنه"

على ظلال الوتر

رفيقٌ مشى ولم يلتفت... ١

لم يكن صديقاً فقط، بل كان مدينة أعود إليها كلما تاهت خطواتي...
وكان آخر من توقعت أن يغادر، لكنه غادر... دون أن يلتفت.

هناك في زوايا القلب التي لا تصلها الضحكات، ولا تطرقها الأحاديث اليومية، يسكن شخصٌ لا يُشبه أحداً... صديقٌ لم تصنعه المصادفة، بل صنعه الزمن، وصبر الأيام، وتقلبات المشاعر.
هو ليس من أولئك الذين نلتقيهم كثيراً، بل من أولئك الذين إن صادفناهم مرة، تغيّر فينا كل شيء بعدها.

الصدقة الحقيقية يا صاحبي، لا تُبنى بكثرة السنين، بل بكثافة المواقف، بحرارة الكنف حين تميل، وبذلك الصمت المُطمئن حين تعجز عن الكلام.
هي ذاك النوع من العلاقات التي لا تُروى، بل تُعاش.
لا تحتاج لتأكيدات، ولا لمقايضة، ولا لشرح طويل... فقط "أنا هنا" تكفي، و"أنا أفهمك" تُعادل عمراً كاملاً من الثثرة.

كان يعرف حزني من صوتي، وإن لم أنطق
وكان يقرأ ما لا أكتبه، ويفهم ما لم أقل.

كنّا نجلس معاً طويلاً دون حاجة للكلام، وكان يملأ صمتي بفهمه، ويطفئ نار وحدتي بحضوره.
حين تَكَسَّرت أحلامي، كان أول من جمّع شظاياها بيديه العاريتين...
وحين خذلني العالم، كان حضنه هو الوطن.

لكنه الآن، رحل.

لا زلت أذكر ذلك اليوم... لم تكن بيننا مشاجرة، ولا خلاف، لم نرفع أصواتنا، لم نُغلق الباب في وجه بعضنا...
لكنه انسحب بهدوء... كأنه لم يكن يوماً ذاك الذي وعد أن يبقى.

"وما أصعب الفقد حين لا تسبقه مقدمة، ولا يليه تفسير"
رحل وبقيت أنا أحتضن ظله، أبحث عن صوته في الرسائل، عن وجهه في الزحام،
عن ضحكته في مقاطع قديمة... كأنني أحاول أن أثبت لنفسي أنه لم يكن حلمًا مرَّ
وانتهى.

تعلّمت بعدها أن بعض الأصدقاء لا يبقون، مهما كان الحُب صادقًا...
أنك قد تعطي قلبك على طبقٍ من وفاء، لكنّ الرحيل لا يسأل عن الإخلاص.

وها أنا الآن... أكتب عنه،
وأظهر بالقوة،
وفي داخلي فراغ لا يُملأ،
وحكاية لا تنتهي،
واسمٌ لا يُنسى...

الصدّاقة الحقيقية لا تموت، لكنها أحيانًا تُدفن حيّة تحت ركام الغياب.

ورغم كل شيء...
لو عاد يومًا، لن أسأله: "لماذا غبت؟"
بل سأهمس فقط: "اشتقت... وكأنك لم تغب قط"

بين الرجوع والغياب... سؤال لا يُجاب

ما زال طيفه يمرُّ بي... لا كغريبٍ في مدينةٍ بل كأنفاسي حين يشتدّ الحنين.
أراه في فواصل الأيام، في آخر السطر، في أول الحلم.
أُظَاهِر بالتماسك، لكن كلَّ حرفٍ منِّي ما زال يكتبه، وما زال يقرؤه.

يا لهذا القلب... كيف يظلُّ يفتِّش عن ظلٍّ مرَّ ذات وقتٍ من هنا؟
أأعود؟
أُفتَحُ للودِّ نافذةً بعد أن أغلقتُ الأبواب؟
أأجرؤ على مصافحة الذكرى، أم أتركها تجلس بصمتٍ على حافة ذاكرتي؟
أحياناً أكتب له قصائد، لا لأرسلها، بل لأتذكَّر كم كنتُ أحبّه.
وأحياناً، أمزق الكلمات قبل أن تكمل جملتها، وكأني أعاقبني على ضعفي.

هل ما زال هناك ما يُقال؟
أم أنّ كل شيءٍ قيل، وانتهى دون أن ينتهي؟
أنا لا أنكر دفء الماضي، ولا أنكر مرارته... لكن،
هل يكفي الحنين ليعيدَ ما انكسر؟

الكرامةُ تأمرني أن أُشيح بوجهي.
والقلبُ يركضُ ناحيته كطفلٍ تائهٍ وجد أمّه.
وبيني وبين كلاهما... أقفُ أنا، حائرًا، عاجزًا، لا أحسن الاختيار.

ربما الحب ليس أن نعود...
بل أن نبقى في الذاكرة، جميلين كما كنّا، لا أكثر، ولا أقل.

فصولُ القلب الأربعة... ومشيتها وحدي... ❏

أنا لست رجلاً عادياً مرّت عليه الأيام،
أنا رجلٌ مشّت عليه الأيام ذاتها،
وشهدتُ، كما يشهد الشجر، تبدّل الفصول...
لا في الخارج، بل في داخلي.

دعني أبدأ من حيث لا يبدأ الناس،
من ذاك الجزء من القلب الذي لا تُسمّيه، ولا نشير إليه، ولا نُحدّث عنه أحداً،
لكنه ينزف، ويشتعِل، ويشتاق، وينكسر، وينهض...
في صمتٍ مُهيب، لا يراه إلا من مرّ من هنا.

هل شعرت يوماً أن قلبك يُبدّل مواسمه كما تفعل الأرض؟
أنك في لحظةٍ واحدة، تشعر ببردٍ لا يُحتمل في ضلعك الأيسر،
ثم فجأةً، ينبت داخلك زهرة، رغم كلّ ما ذبل؟

عشت هذا كلّهُ... أنا
عشت شتائي، لا بتلج على رأسي، بل بتلج في عروقي
عشت صيفاً لم يكن حارّاً، بل كان قلبي فيه جمرَةً تمشي على رجليها
فأدركت فيه أن بعض الأوراق تسقط لترتاح، لا لأنها ماتت... وجاءني خريف.
ثم جاء الربيع، لا من الخارج، بل كغفران داخليّ، كأنك تعود إلى نفسك بعد سنوات
من الغربة.

شتاء قلبي... ليس برداً، بل خيبة!

كان الشتاء أول من زارني.
لكنّه لم يطرق الباب،
بل دخل من نوافذ الخذلان، وجلس عند مدفأتي،
وسرق منّي كل دفء.

ذاك الشتاء علّمني أن الناس لا يبقون،
حتى لو أقسموا، حتى لو أمسكت بأيديهم في ظلمة نفسك،
حتى لو كنت لهم سراجًا...
حين تُطفأ المصالح، تنطفئ الوجوه.

في شتائي، سمعت أول صرخة داخلي،
لم تكن عالية... لكنها كانت دامية.

قلت لنفسي يومها:
"لا تُراهن على أحد لينهض بك
من لم يمش معك في المطر، لا يستحق أن يشاركك شمسك!"

ربيع الروح... لحظة عودة...

ثم أتى الربيع،
لا على الأرض... بل على قلبي.
أحسست لأول مرة أنني أبتسم دون سبب،
أنني أجلس وحدي، ولا أشعر أنني ناقص.

كنت أضع يدي على صدري، وأقول:
"كلّ هذا الألم؟ ونجوت منه؟"
كان داخلي يشبه حديقة مهجورة،
لكن أول زهرة نبتت... كانت أملًا، لا حبًا.

في ربيعي، بدأت أرّم ذاتي...
لا لأعود كما كنت، بل لأصبح كما يجب أن أكون.
هدأت، صفوت، غفرت، وترفعت.
صرت لا أردّ، لا أعاتب، لا أنتظر.
لأنني اكتشفت أن أعظم ما يمكن أن تمنحه لنفسك هو:
السلام.

صيفي المشتعل... وأنا الذي احترقت وحدي...

ثم جاء صيفٌ لا يُطاق!
لم يكن حرّه في الطقس، بل في المشاعر المرتفعة التي لا تهدأ.

كنت أحبّ حدّ التوهّج، أشتاق حدّ الوجع،
أغضب دون مقدمات، وأحلم بأشياء لا تصل.

صيفي كان فصل الحُمى العاطفية.
فصل البدايات المتسرّعة، والنهايات القاطعة.
وفيه، تعلمت أن الاحتراق لا يعني الدفء.
بعض القلوب تشعلك... فقط لتراك تنطفئ

هناك، وقفتُ أمام مرآتي،
نظرت في عينيّ، وقلت لنفسي:
"كل من تحترق لأجله، سيُدفن يديه... وينصرف"

خريفي... الهدوء الحكيم بعد العاصفة...

أما الخريف...
فكان الفصل الذي أدركت فيه أن الحياة لا تُعطي على قدر الاستحقاق، بل على قدر
التخلّي.

بدأت أتخفّف...
من علاقات، من أوهام، من انتظارات
خسرتُ، نعم...
لكنها لم تكن خسائر، بل كانت تطهيرًا.

في خريفي، كنت أسير وحدي... لكن بثقلٍ خفيف.
صرت لا أبكي على أحد، ولا أغضب من أحد،
بل أبتسم، وأقول:
"كل شيء في مكانه الصحيح... حتى الألم"

صرت أختار الصمت لا العتاب،

والرحيل لا الانكسار،

والعزلة الهادئة... لا العلاقات المزدحمة.

اليوم... أنا لست حكيمًا، بل ناجٍ

أنا لا أزع الحكمة،
لكنني رجل نجا من مواسمه الداخلية، دون أن يخسر نفسه.
وهذا، في زمن القلوب المستعجلة، بطولة لا يُصَقِّق لها أحد...
لكنها تُضيء القلب.

تعلمت أنني لست مطالبًا أن أشرح دائمًا،
ولا أن أقنع، ولا أن أثبت.
يكفيني أنني أعرف ما مررت به،
وأعرف تمامًا أنني لست كما كنت... بل أفضل، وأنضج، وأهدأ.

فيا من تقرأني الآن،
اعلم أن أشدَّ مراحل حياتك ظلمة... هي التي تُنبت داخلك نورًا لا يُطفأ.
وأن كلَّ من رحل، وكلَّ من خذل،
وكلَّ من لم يراك...
ساهم، دون أن يدري، في بناء النسخة التي تفتخر بها الآن.

فصولك داخلك، لا تهرب منها...
عِشها، اغرق فيها، اصرخ، ابك، اضحك، اندم...
ثم انهض، وامش كما يمشي الناجون...
هادئًا، عزيزًا، دون حاجة لتفسير، ولا رغبة في العودة.

أنا عشتُ فصولي كلّها،
ولا أندم.

كنت أبحث عن النور... حتى قررت أن أكونه

كنت أبحث عن بصيصٍ واحدٍ في هذا الليل الطويل...
كل الطرق بدت وكأنها تُفضي إلى لا شيء،
وكل الأبواب، وإن كانت مفتوحة، شعرت بأنها لا تُفضي إلى ضوء.
وكنت أقول في داخلي: "متى يأتي النور؟ متى ينتهي هذا؟"

لكن الحقيقة؟
مرّ يوم، قال لي فيه أحدهم: "بك لم يكن النّقل ثَقِيلاً".
وقفت عند هذه الجملة.
أنا، الذي أبحث عن طمأنينة لنفسي،
صرّت طمأنينة لغيري... دون أن أشعر؟

وهنا تغيّر كل شيء.
فهمت أن النور، ليس شيئاً يُعطى فقط، بل شيئاً يُصبح.
وأنت حين لا تجد الطريق، ربما خلّقت لتكونه لغيرك.

لكنّ الأمر لم يكن سهلاً، ولا سريعاً.
لم أستيقظ يوماً وأصبح نوراً دفعةً واحدة.
بل كنتُ أتعثّر، أخبو، أنطفئ أحياناً،
ثم أعود لأذكّر نفسي: "أنت من اختار أن يكون النور،
فلا يليق بالنور أن يخاف من الظلمة"

صرّت أتعلّم كيف أضيء لنفسي أولاً،
كيف أقول "لا بأس" بصدق،
كيف أُمسح دموعي دون أن أخجل من ألمها،
وكيف أحبّ نفسي، لا لأنها كاملة... بل لأنها باقية رغم كل شيء.

تعلمت أن النور لا يعني الصخب، ولا النجاح الباهر، ولا الصور البراقة...
النور الحقيقي؟

هو سكوتك عندما تضطرب الدنيا،
هو لطفك عندما تكون متعباً،
هو أن تختار الخير، لا لأنك ضعيف، بل لأنك نقي.

مرت عليّ أيام كنتُ فيها منطفئاً تماماً...
كأنّي أحمل قلبي في جيبِي، وأخاف أن يسقط،
لكنني كنت أعود كل مرة، لأنني صرت أعرف أن
هناك من ينتظرنِي... لا ليُريني الطريق، بل ليمشيهِ معي.

هؤلاء الذين لم يقولوا شيئاً،
لكن عيونهم كانت ترتاح لي،
أولئك الذين وجدوا قِيَّي ملجأ،
علمني وجودهم أن أكون شيئاً من الضوء، حتى لو كنت أنا غارقاً في العتمة.

وفهمت بعد وقت طويل...،
أننا لا نحتاج دائماً إلى من "ينقذنا"
أحياناً نحتاج فقط إلى أن نُشعل شمعة واحدة داخل أنفسنا،
شمعة صغيرة... تكفي أن تغيّر شكل الغرفة.

منذ ذلك الحين، لم أعد أبحث عن النور في الخارج.
صار النور بداخلي،
يكبر كلما ضمنت أحدهم في قلبي،
كلما سامحت، أو فهمت، أو حتى بكيت دون أن أكره نفسي.

وأصبح عندي يقين بسيط، لكنه ثابت:

"النور ليس أن ترى كل شيء بوضوح... بل أن تُضيء للآخرين، ولو
كنت لا تزال تتلمس طريقك"

فانية، فكن إنساناً

كل ما حولنا يمضي...
الضحكات، التفاصيل، الأماكن، الوجوه التي نظنّها أبدية...
حين تنساب من بين أيدينا كالماء.
والحياة؟
كأنها حلمٌ نغفو فيه ونستيقظ في منتصفه دون أن نفهم كل ما حدث.

تمر الأيام، ونركض...
نركض خلف العمل، خلف المال، خلف المظاهر،
وننسى أننا "راحلون" مهما كان الوزن الذي نحمله.
لكن في هذه الفوضى، هناك شيء واحد فقط يبقى:
الإنسان الذي كناه.

الكلمة الطيبة، لمسة الحنان، الصدق في لحظة خذلان...
هذه هي الأشياء التي لا تموت، لأنها تسكن قلوب الآخرين، لا أوقاتهم.

فإذا كانت الدنيا فانية،
فكن أنت الشيء الذي لا يُفنى في قلوب من عرفوك.

لا تبقَ كثيرًا،
لكن دع إنسانك يبقى طويلًا بعدك.

أحيانًا نظن أن أثرنا مربوط بما ننجزه،
بالألقاب التي نحملها، بعدد الإنجازات، أو بضوءٍ يُسلط علينا للحظة...
لكن كم من ضوءٍ انطفأ،
وكم من إنسان بسيط عاش في الظل،

وترك فينا نورًا لا نعرف كيف نطفئه.

لذلك لا تستهين بلحظة صدق.
لا تستخف بسؤال عابر سألته من قلبك،
ولا تندم على طيبة لم تجد من يفهمها.

فالقلوب الصادقة، لا يُقاس عمرها بالسنين...
بل بما تخلفه في قلوب الناس بعد أن ترحل.

والإنسان؟

هو ما يتركه لا ما يأخذه.
هو الدعاء الذي يخرج من فم مجهول،
هو الرسالة التي لا تُقال، لكنها تُشعر.

أنا لا أريد أن أكون عظيماً في عيون العالم،
ولا مشهوراً على شاشاته...
يكفيني أن يُقال عن :
"كان صادقاً، خفيفاً، حقيقياً... وكان إنساناً"

فإذا سألت نفسك يوماً: ماذا أريد أن أكون؟
أجبها ببساطة: "أريد أن أكون من لا يُنسى حين يُذكر الخير"

"الرحيل محتوم... لكن البصمة اختيار"

"لا تبك كثيراً، لكن دع إنسانك يبقى طويلاً بعدك"

السُّمعة لا تموت... وصاحبها يموت

جلستُ ذات مساء أفكّر، كما يفعل المنهكون بعد يوم طويل.
سألتُ نفسي سؤالاً بسيطاً ظاهرياً، لكنه ثقيل في جوفه:
ماذا يتبقى من الإنسان بعد أن يرحل؟

نحن نعيش ونجتهد، نخطئ ونعتذر، نُحب ونُخذل، نربح ونخسر...
ثم نرحل.
ينطفئ الجسد، تُطوى التفاصيل، وتُغلق الأبواب خلفنا.
لكن هناك شيء واحد فقط يبقى حيّاً، بل يواصل العيش بعدنا...
إنها "السُّمعة"

ذلك الحديث الصغير الذي يُقال عنك في مجلسٍ لا تعرفه،
ذلك الانطباع الذي تتركه دون أن تقصده،
ذلك الأثر الذي يصبح اسمك.

السُّمعة ليست ما تقوله عن نفسك،
بل ما يقوله الناس حين لا يراك أحد.
هي المجموع الصامت لكل اختياراتك...
لكل مرة اخترت فيها أن تكون صادقاً حين كان الكذب أسهل،
لكل مرة وقفت فيها مع أحدهم دون مقابل،
لكل مرة خذلت فيها إنساناً، أو ساندته، أو حتى تجاهلته.

والمؤلم؟ أن الإنسان يرحل.
لكن كلماته لا ترحل.
أفعاله لا تُنسى.
ورغم أن جسده يصبح تراباً، فإن سيرته تظلّ إما عطرًا يُذكر، أو جرحاً لا يندمل.

كم من ميتٍ يعيش في دعاء الناس،
وكم من حيٍّ يعيش منبوءاً في قلوبهم!

ولهذا، لم أعد أفكر فقط في ما أملك،
بل في ما سأترك.
لم أعد أعدّ السنين، بل أثر السنين.
أصبحتُ أراقب تصرفاتي بصمتٍ أكبر،
وأتساءل في خضم كل فعل:
"هل سترضى أن يُقال هذا عنك بعد رحيلك؟"

فيا صديقي، يا من تقرأ هذه الكلمات الآن...
ليست العبرة في أن تعيش طويلاً،
بل أن تعيش نقياً، بسيطاً، صادقاً...
أن تترك وراءك ذكرى، لا ضجيجاً.
أن تُبقي اسمك خفيفاً على اللسان، دافئاً في القلوب.

لأننا، شئنا أم أبينا.
سنغادر، وسننسى يوماً.
لكن السُّمعة؟
هي الشيء الوحيد الذي يقرر إن كان الغياب موتاً كاملاً...
أم حياة من نوعٍ آخر، يعيشها الناس بك.

يموت الجسد... وتبقى الحكاية.
"فاختر أن تكون حكايتك من التي تُروى بفخر، لا بحذر"

نحن لا نترك العالم كما هو حين نغادره.
نترك فيه صوتنا، خطواتنا، نبرة ضحكتنا، وحتى الصمت الذي سكننا ذات مساء.
نترك في قلوب الناس ملامحنا، حتى لو نسوا وجوهنا.
نترك ردود أفعالنا....
كيف تصرفنا وقت الغضب، كيف عاملنا من لا مصلحة لنا عنده،
كيف تحدثنا في غياب من نحب،
وكيف احتفظنا بكرامتنا حين ضاق القلب بالحزن ولم نشك.

السُّمعة...

هي الصدى البعيد لحقيقتك،
والدليل الوحيد على نوع الحياة التي عشتها، حتى لو أنكرتك الحياة كلها.

وفي لحظة ما، لن يكون لك حقٌّ في الدفاع عن نفسك،
لن يكون لك صوتٌ لتقول: "كنت أنوي الخير"، أو "أخطأت مرة، لكنني ندمت".
كلّ ما تبقى هو ما رآه الناس منك،
ما بقي في أعينهم بعد أن غبت.

لهذا، أصبحتُ أحرص على التفاصيل الصغيرة...
على الطريقة التي أقول بها "شكراً"،
على الطريقة التي أعتذر بها، لا لأكون مثاليًا، بل لأكون صادقًا.
لأن الإنسان يُعرف من تلك اللحظات التي لم يكن مضطراً فيها لشيء...
لكّنه اختار أن يكون طيبًا.

وأصيحتُ أفكر دائماً:
إن غبتَ غداً، ماذا سيبقى مني؟
كلمة؟ فعل؟ دعاء؟ أم وجع؟
هل سأقلب في ذاكرة أحدهم بحب، أم بشيء يشبه الخيبة؟
وأسوأ ما قد نتركه خلفنا... هو أن ننسى بلا أثر،
أن نمحى وكأننا لم نكن، لا لأننا لم نعيش، بل لأننا لم نحسن العيش.

هناك من يمرّ بك مروراً لا يُنسى،
لا لأنه كان جميل الشكل، ولا لأنه حقق الكثير،
بل لأنه كان نقياً... بسيطاً... إنساناً.

وإذا كانت الحياة قصيرة، فدع السُّمعة تكون طويلة.
وإذا كان الجسد زائلاً، فاجعل قلبك يعيش في غيرك،
في أثرك، في طريقتك في العطاء، في ذكرك الطيب الذي لا يشيخ.

الخاتمة | الوقوف الأخير

لا تبحث عني بين الحروف.
ولا تظن أنك ستعثر عليّ من بين السطور...
أنا لا أكتب،
أنا أشعر.

كل ما قرأته هنا كان ظلي، لا وجهي.
صوتي، لا اسمي.
أثري، لا حضوري.

وإن ظننت للحظة أنك عرفتني؟
فأنت فقط وقعت في فخّي الأجل...
فأنا لا أكتشف،
ولا أطارد،
ولا يُقال عني: "ها هو"

أنا الذي لا تمسكه العيون،
ولا تُعيدّه الذاكرة كاملة.

فلا تسأل: من كاتب هذا؟
ولا تبحث في نهايات الكتب،
لأنني ببساطة...

لا أوجد...
بل أمر.

كاتب الظل:
حارس النغمة في صمتها، ورفيق الألم حين يعجز الجميع.

حارس النعمة في صمتها ورفيق الألم حين يعجز الجميع